أريك

ديــوان الثقــافتــين العربيــة والأرمنيــة

عــدد رقــم ٩٥ | السـنة الرابعـة عشـرة | ينــاير ٢٠٢٤



آرتساخ (ناجورنو كاراباخ) ويبقى الأمل...



نشرة غير دورية تصدرها
جمعية القاهرة الخيرية الأرمنية العامة

رئيس التحرير:
علي ثابت صبري

سكرتير التحرير:
عطا أحمد درغام

العنوان: ٢٦ ش مراد بك - صلاح الدين
مصر الجديدة - القاهرة

تليفون: ٢٢٩١٦٤٤٤ (٠٢)

رابط مجلة أريك الإلكتروني:
https://me-qr.com/l/ArekArabic

رقم الإيداع: ٢٠١٠/١٨٣٧٤

إعداد وتصميم:
مؤسسة فِكْر للتصميم والإعلان
Fikr Foundation For design and advertising .



المحتويـــات

الموضـوع | الصـفحة

السادة القراء الراغبون فى الحصول على هذا الإصدار مجاناً، الرجاء موافاتنا بالبيانات الآتية:

الاســـــــم : ....

المــهــنــة: ....

الــعــنــوان: ....

البريد الإلكتروني : ....

التليــفــون: ....



الإنسانية فى ورطة
آرتساخ (ناجورنو كاراباخ) شاهدة عيان

بقلم: على ثابت صبري

في ظـل التـوترات الـتي يشـهدها العـالم عـن قصـد، نجح الثالوث - الأذربيجاني التركي الإسرائيلي - في اتخاذ تدابير كأن من شأنها تنفيذ حملة إبادة عرقية ممنهجة ضد الشعب الأرمني في إقليم آرتساخ (ناجورنو كاراباخ)، بدأت بوضع سكان الإقليم الأرمن في ظروف معيشية قاسية، ونجحت باكو وشريكتها في ٢٠٢٠ في بسط سيطرتها العسكرية على معظم أرض الإقليم، ثم الحرب الخاطفة في سبتمبر ٢٠٢٣، والتي لم تستغرق سوى ٢٤ ساعة بالكاد، تاركة منطقة قره باغ بأكملها تحت سيطرة أذربيجان بعد أشهر من الحصار. جميع الأرمن الذين كانوا يعيشون في الإقليم، ويبلغ عددهم نحو ١٢٠ ألف شخص، قد فروا بالفعل إلى أرمينيا، خوفًا من التطهير العرقي الكامل أو الفظائع الجماعية، وعند هذا الحد، تم تفريغ الإقليم من الشعب الأرمني، وظلت حملات التهجير القسري مستمرة حتى مطلع العام الجاري. ومثلما واجه الأجداد أول إبادة في القرن العشرين، واجه الأحفاد أول إبادة عرقية في القرن الواحد والعشرين، ورغم أن هناك إبادات تجرى الآن ضد الشعب الفلسطيني في غزة، والشعب الكردي في شمال سوريا، إلا أن الإبادة العرقية التي تمت بحق الشعب الأرمني في آرتساخ هي الأولى في القرن الواحد والعشرين، نظراً لأنها تمت بتفريغ الإقليم تماماً من سكانه الأرمن.



إذا نظرنا بدقة للثالوث الأذربيجاني التركي الإسرائيلي، سنجد النفط ووقود الطائرات الآذريين نقطي ارتكاز للحرب الإسرائيلية على قطاع غزة ومحاولات إبادة شعبها، ومن ناحية أخري، تشن تركيا حرباً ضد الشعب الكردي في شمال سوريا محاولةً إبادته، ثم نجد الثالوث مجتمعاً على أرض آرتساخ ضد الشعب الأرمني مسانداً لأذربيجان لوضع قدماً وساق في الأراضي الخاصة بمستقبل الصراع العالمي الجديد - آسيا الوسطى والقوقاز- ، والاستفادة من كمية الموارد الطبيعة الضخمة. أما تركيا فمازالت مُصرة على تفعيل العثمانية الجديدة، ولكن هذه المرة في آسيا الوسطى والقوقاز من خلال قاعدة مرتكزها الجمهوريات الإسلامية السوفيتية- سابقاً-.

ولكن السؤال الذى يطرح نفسه هو كيف أسهمت إسرائيل في الإبادة العرقية ضد الشعب الأرمني في آرتساخ؟

تعكس تجارة الأسلحة بين إسرائيل وأذربيجان العلاقة الدبلوماسية بينهما، والتي وُصفت ذات مرة في برقية دبلوماسية أمريكية مسربة بأنها "مثل جبل جليدي، تسعة أعشاره تحت السطح. وعلى الرغم من عقود من التعاون الثنائي، لم تفتح أذربيجان سفارة لها في إسرائيل إلا العام الجاري. أضف أيضاً، أن إسرائيل اشترت ٦٥٪ من نفطها الخام من أذربيجان في عام ٢٠٢١. وحسب موقع CNN فإن الدولتين يتبادلان المعلومات الاستخبارية حول إيران، العدو اللدود لإسرائيل، والتي تشترك معها أذربيجان في الحدود، والتي تضم عددًا كبيرًا من السكان من العرق الأذربيجاني الذين يشكلون أكبر أقلية في البلاد. وحسب إفرايم إنبار، الخبير في العلاقات الإسرائيلية-الأذربيجانية ورئيس معهد "القدس للاستراتيجية والأمن"، قال إن "مبيعات النفط والأسلحة مستمرة. ووفقًا لمعهد ستوكهولم الدولي لأبحاث السلام ((SIPRI، فإن أذربيجان وإسرائيل شريكان عسكريان وثيقان وأكثر من ٦٠٪ من واردات الأسلحة الأذربيجانية جاءت من إسرائيل بين عامي ٢٠١٧ و٢٠٢٠، لتشكل ١٣٪ من الصادرات الإسرائيلية خلال الفترة نفسها. يكشف بحث SIPRI أن أذربيجان اشترت مجموعة واسعة من الطائرات بدون طيار والصواريخ وقذائف الهاون من إسرائيل بين عامي ٢٠١٠ و٢٠٢٠.

ووفق تصريح إفرايم إنبار، الخبير في العلاقات الإسرائيلية-الأذربيجانية ورئيس معهد "القدس للاستراتيجية والأمن". أن "مبيعات الأسلحة لا تحظى بالكثير من الدعاية". لكن مساهمة الطائرات بدون طيار الإسرائيلية في حرب أذربيجان معروفة جيدًا. الإسرائيليون فخورون بأسلحتهم. تعتبر مبيعات الأسلحة مفيدة لإسرائيل. ومع ذلك، على الرغم من ظهورها بشكل كبير في قره باغ، فإن دور الطائرات بدون طيار لا ينبغي أن يطغى على دور محلل الشؤون الدفاعية في معهد بحوث السياسات التطبيقية في أرمينيا. وقال: "يعتبرها الناس نوعًا من الأسلحة الفائقة. بالطبع هي مهمة جدًا، لكن هناك أدوارًا لأنواع أخرى من الأسلحة، ومن بينها صواريخLORA الإسرائيلية، والتي اشترتها أذربيجان لأول مرة من إسرائيل في عام ٢٠١٧.

أما عن شهود العيان فقد ذكر الصحفي ماروت فانيان المقيم في ستيباناكرت – التي كانت ذات يوم أكبر مدينة في (آرتساخ) عاصمة الإقليم– (تقريرCNN)عندما شنت أذربيجان حربًا استمرت ٤٤ يومًا للسيطرة على الأراضي والمناطق المحيطة بها بمساعدة الأسلحة التركية والإسرائيلية . وأضاف أن المخلفات التى تركتها الأسلحة. التقط فانيان مقطع فيديو للسماء فوق ستيباناكرت، وهي رمادية وغائمة، وأزيز المروحيات واضحًا في الخلفية، ونشره على منصة "إكس"(تويتر سابقا).

أضف شهادة ليونيد نرسيسيان، وهو محلل للشؤون الدفاعية وباحث في معهد أبحاث السياسات التطبيقية (APRI) في أرمينيا، وهو مركز أبحاث مستقل، " فقد كان صوت "هاروب" من شركة الصناعات الجوية الإسرائيلية، المعروفة بالضوضاء الخارقة التي تنتجها. استخدمت القوات الأذربيجانية طائرة "هاروب" –التي يشار إليها غالبًا باسم "طائرة انتحارية بدون طيار"– وغيرها من الطائرات الإسرائيلية بدون طيار طوال حرب عام ٢٠٢٠.

وعلى الرغم من أن العلاقة بينهما سرية نسبيًا، تشكل المعدات الإسرائيلية معظم واردات الأسلحة الأذربيجانية، وفقًا لباحثين في مجال الأسلحة. ووصف المسؤولون الأذربيجانيون أسلحة إسرائيل بأنها جزء لا يتجزأ من نجاح بلادهم في ناجورنو قره باغ خلال حرب عام ٢٠٢٠.

نستخلص من هذا، أن تركيا هي بوابة إسرائيل

إلى آسيا الوسطى والقوقاز، فلا نغفل تاريخياً التقارب التركي اليهودى، ومن ثم التقارب التركي الصهيوني فإن التواجد في هذه المنطقة التى تُمثل مستقبل الطاقة والموارد الطبيعة بحق، فهي سوق متميز للاستثمارات والتحكم في جزء كبير من العالم، بنفس أهمية السوق الإفريقي، الذى يتواجد فيه التحالف ذاته بنفس الدرجة من البشاعة .

وارتكازًا على أن كل مشروع استيطاني يستهدف مص دماء الشعوب يكون له ضحايا، إلا أن المفارقة العجيبة أن نفس الشعوب التى دفع ثمن هذه المشاريع في القرن العشرين، هى ذاتها التي تدفع الثمن في القرن الواحد والعشرين، بدأت بالشعب الأرمني في آرتساخ، والآن الفلسطينيين والأكراد. بيد أن، الأرمن مازالوا هم الأبرز في تقديم الضحايا في القرن المنصرم ، والقرن الجاري، لأن اقتلاع شعب من جذوره التاريخية أمر لا يقبله التاريخ ولا الإنسانية.

أما عن الموقف الدولي وضعت روسيا كتيبة لحفظ السلام منذ حرب ٢٠٢٠ في إقليم آرتساخ – ذات الغالبية الأرمنية– ، ولكن هذه الكتيبة لما تتدخل بشكل أو أخر لوقف الحرب الخاطفة التى استمرت ٢٤ ساعة في سبتمبر ٢٠٢٣، هذا ما دفع رئيس الوزراء الأرمنى نيكول باشينيان إلى توجيه الاتهام نحو روسيا بالتخلي عن القيام بدورها كحافظ للسلام، وقال: " لا أعتقد أن علينا تجاهل إخفاق كتيبة حفظ السلام في آرتساخ". إلا أن التخلي الروسي عن القضية كان رداً على اتجاه الحكومة الأرمنية نحو الغرب ، رغم أن الأفضلية كانت للأرمن في الإقليم منذ تسعينات القرن المنصرم بفضل الدعم الروسي.

أما الولايات المتحدة الأمريكية، فقد توجهت مسؤولتان كبيرتان بالإدارة الأمريكية في سبتمبر الماضي إلى يريفان تزامناً مع النزوح القسري لسكان آرتساخ، فيما تضمن الزيارة السيدة/ سامانثا باور مديرة الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية



لشؤون أوروبا والشؤون الأسيوية الأوروبية، وأكد الوفد الامريكي على الدعم لديمقراطية أرمينيا وسيادتها واستقلالها وسلامة أراضيها، والالتزام بتلبية الاحتياجات الإنسانية التى نتجت عن الوضع في آرتساخ . وأضافت سامانثا أنه يساور الولايات المتحدة الأمريكية قلقاً بالغاً إزاء التقارير عن الأوضاع الإنسانية في الإقليم.

ويُعد الموقف الفرنسي الأكثر وضوحاً في قضية آرتساخ بعيداً عن التنديد والشجب الدوليين، حيث أعلنت فرنسا أنها ستقدم دعماً عسكرياً إلى أرمينيا، فيما قامت الحكومة الأرمنية بخطوة أكثر تحدياً لموسكو وباكو، حيث وقعت اتفاقية مع الاتحاد الأوروبي تسمح بوجود قوات فصل تابعة للاتحاد في المنطقة الحدودية الفاصلة بين أرمينيا وأذربيجان، فيما اتهم الرئيس الأذري فرنسا بأنها تُمهد الأرض فى منطقة القوقاز لحرب جديدة بعد مد أرمينيا بالأسلحة الفرنسية، وقال : " إن باريس تتبع سياسة ذات نزعة عسكرية من خلال تسليح أرمينيا، وتشجع القوى الانتقامية في أرمينيا، وتمهيد الأرضية لإثارة حروب جديدة فيها".

لدرجة أن الرئيس الأذري في محادثة هاتفية مع رئيس مجلس الاتحاد الأوروبي شارل ميشيل، أنه في حالة ظهور صراعات جديدة في جنوب القوقاز فإن فرنسا ستكون الجاني. أما على الجانب الآخر، فإنه خلال المؤتمر الصحفي الذى عقد في أكتوبر ٢٠٢٣ لوزيرة الخارجية الفرنسية كاترين كولونا ونظيرها الأرمني آرارات ميرزويان في يريفان، أعلنت فيه :" أود أن يوجه الاتحاد الأوروبي وكافة الدول الأعضاء فيه ابتداءً من هذه الحظة، مثل ما نقوم به

إشارة واضحة لجميع من يحاولون انتهاك سلامة أراضي أرمينيا، وأكدت على الاتفاق الفرنسي الأرمن سيسمح بتوريد معدات عسكرية لأرمينيا". كما أرسلت فرنسا ملحقاً عسكرياً إلى يريفان تمهيداً لفتح قنصلية فرنسية في سيونيك – محافظة أرمنية تفصل بين أذربيجان وإقليم نخجوان الذاتي الحكم، والذى لديه ممر ضيق حدودي مع تركيا –.

المؤامرة الكبرى

على نحو ما سبق، فإن المنظومة الدولية الحاكمة في القرنيين الماضيين والقرن الجاري، واجهت مشكلات بوجود الشعوب التاريخية التى مثلت حجرة عثرة أمام المشاريع الاستيطانية، فمثلت هذه الشعوب خط المواجهة الأول ضد تلك المخططات، لذا، عملت وتعمل وستعمل المنظومة الدولية الحاكمة على طمس هوية تلك الشعوب، واقتلاع جذورها، حتى تتمهد الأرض لنجاح تلك المخططات. فتجد الشعب الأرمني صاحب التاريخ الضارب بجذوره في عمق التاريخ، يواجه ضربات متتالية، تهجير قسري، إبادة جماعية، فقد أجزاء حيوية من أراضيه، وتشتت حول العالم. إلا أن الشعوب صاحبة التاريخ والأرض، فشلت معها مخططات المحو والطمس، لأنها سريعاً ما تستعيد قوتها انطلاقاً من تاريخها الإنساني. ويُعانى الشعب الفلسطيني في غزة، ويُعاني الشعب الكردي في شمال سوريا، يحدث كل هذا تحت مرأي ومسمع العالم كله، أبو بالأحرى بمباركة المنظومة الدولية



الحاكمة، فإسرائيل تبحث عن إسرائيل الكبرى، وتركيا تبحث عن الدولة العثمانية الجديدة، لذا، وقعت شعوب المنطقة بين المطرقة الإسرائيلية والسندان التركي، ولكن يبقي الأمل في أن تنتفض الإنسانية لنصرة نفسها أولاً، وكل المؤمنين بمبادئها ثانياً، ولعل ما فعلته جنوب إفريقيا في محكمة العدل الدولية ضد الإبادة الإسرائيلية في غزة، إيذاناً بأن الإنسانية سوف تنهض من جميع أرجاء العالم لنصرة مبادئها، وسيبقى الأمل في أن يستعيد الشعب الأرمني حقوقه، ويعود شعب آرتساخ لأرضه، وسيبقى الأمل في أن تنعم شعوب المنطقة بالتعايش السلمي.



اتفاقية إبادة الجنس البشري
الثوابت القانونية والثغرات المعيارية



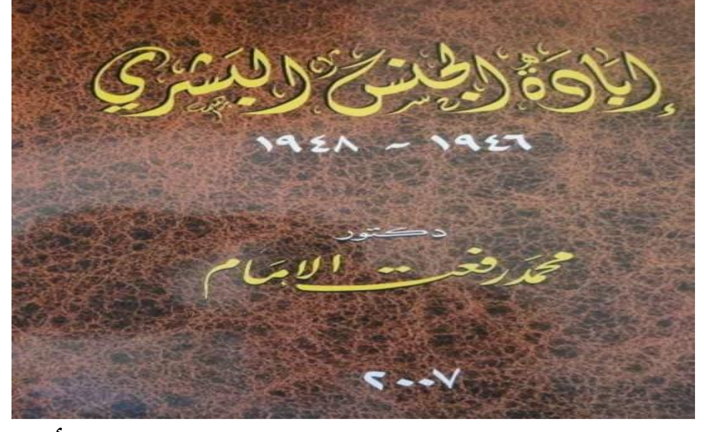
بقلم: أ.د / محمد رفعت الإمام
أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر
كلية الآداب – جامعة دمنهور

يشهد العالم حالياً والشرق الأوسط حصرياً مجموعة متنوعة من الإبادات، والإنسانية أصبحت في ورطة حقيقية، والتوأم التركي الإسرائيلي مازال يُمارسا أفعالهما الإبادية ضد شعوب المنطقة، ونأمل في أن يُنصف القانون الدولى قضايا شعوب المنطقة التى تتعرض يومياً للقتل والتهجير القسري واستهداف كل ما هو إنسان، وفى هذا الشأن ، نوجه التحية لدولة جنوب إفريقيا على موقفها العظيم وتمسكها بمبادئ الإنسانية، حيث أقامت دعوى ضد إسرائيل في محكمة العدل الدولية تضمنت اتهام الأخيرة بممارسة الإبادة الجماعية بحق الشعب الفلسطيني في غزة، وتحدد يوم الخميس الموافق ١١ يناير ٢٠٢٤ لمرافعة جنوب إفريقيا، والتى أبلى فيها الفريق القانوني(أحفاد مانديلا) بلاءً حسناً.

لذا، يُسعد مجلة أريك أن تقدم لقرائها بمناسبة مرور ٧٥ عاماً على اتفاقية الأمم المتحدة لمنع إبادة الجنس والعقاب عليها – والتى تستند إليها جنوب إفريقيا في دعواها ضد إسرائيل، هذا المقال المهم عن اتفاقية الأمم المتحدة لمنع إبادة الجنس والعقاب عليها .

في ٩ ديسمبر ٢٠٢٣، مرت خمسة وسبعون عاماً علي ميلاد "اتفاقية الأمم المتحدة لمنع إبادة الجنس والعقاب عليها". وفي الواقع، تمثل جريمة " إبادة الجنس" أخطر وأضخم الجرائم ضد الإنسانية، ولذا، تُوصف علي نحو دقيق بأنها " الجريمة النموذج" ضد الإنسانية، بل و" جريمة الجرائم"، نظرا للتداعيات الناجمة عنها.

إذ غُن الأفعال الإبادية، بما تحمله من نية إجرامية للقضاء علي جماعة بشرية بذاتها أو إعاقتها إلي الأبد،



تصدم الضمير الجمعي في الصميم، وباختصار لأنها تسلب من الإنسان جوهر وجوده: الحق في الحياة.

وتجدر الإشارة إلي أن " الإبادة" تضرب بجذورها في عمق التاريخ الإنساني ذاته، وقد تمخضت عن الحروب والاحتلالات والصراعات الدينية. بيد أن القرن العشرين قد تمايز إبادياً إثر ما طرأ عليها من مفاهيم سياسية وتطورات تقنية. ومع بزوغ دول القوميات الحديثة، انفجر صراع العرقيات، وبذا شهد القرن العشرون ليس فقط صراعات عرقية، بل تكريس العرقيات الأحادية المتطرفة التي اختزلت بدقة في " إبادة الجنس". ومن ثم، أنكرت العرقيات الأكبر والأقوى وجود" عرقيات أخري"، وسعت لاجتثاثها من منطلق أنهم "أعداء عرقيون"، وبإيجاز ارتكبت إبادات القرن العشرين في سياق قدرات نافذة للنخب القومية المتطرفة الحاكمة بما امتلكته من وسائل فريدة لبلوغ غايتها الإبادية.

ولذا، فلا غرو أن وصفت الأدبيات هذا القرن بـ "القرن الدموي" و " قرن الإبادات". وفي هذا الصدد، كانت الفظائع النازية دافعاً مباشراً، كي تتبني منظمة الأمم المتحدة إجراءات دولية، بغية الحيلولة دون وقوع مثل هذه الفظائع وضمان معاقبتها، فيما أثمر عن ميلاد " اتفاقية الأمم المتحدة لمنع إبادة الجنس والعقاب عليها": ولكن منذ إقرارها، غرقت في بحر الظلمات، بعد أن ركزت حركات حقوق الإنسان علي فظائع أكثر "حداثة"، مثل التمييز العنصري والتعذيب وإفناء الضحايا ولهذا وسمتها الأدبيات بـ " الاتفاقية المنسية ."

بيد أن أحداث العقد الأخير من القرن العشرين وبدايات القرن الحادي والعشرين قد أحيت الاتفاقية وأعادت إليها الروح، إذا استرعت الأفعال الإبادية في رواندا والبوسنة الانتباه الدولي. كما أن التطورات التشريعية والمجادلات الفقهية الناتجة عن هذه الأحداث قد شجعت الدوائر البحثية والتشريعية والقضائية وغيرها علي معاودة الاهتمام، ليس فقط بنصوص الاتفاقية وتأويلاتها، بل – وربما يكون هو الأهم – البحث في خلفيات صياغة النصوص وفيما وراءها. وفي هذا السياق، يركز هذا المقال علي تقييم اتفاقية الإبادة بعد مرور ستة عقود علي إقرارها، ويكثف الأضواء علي ماهية مفهوم " إبادة الجنس" الذي أقرته، مع بيان إيجابياته وسلبياته ومدي الحاجة إلي مراجعته .

رافائيل ليمكن وصياغة مفهوم إبادة الجنس :

ابتكر مصطلح " إبادة الجنس" القانوني البولندي رافائيل جوزيف ليمكن (١٩٠٠- ١٩٥٩) نتاجاً لبيئته الثقافية وانشغالاته العامة وحياته العملية، وأثر تداعيات ظهور النازية علي الخريطة الأوروبية عموماً، وعلي بولندا خصوصاً. وبين عامي ١٩٤١و١٩٤٣ عكف علي كتابة عمله الأشهر " حكم المحور في أوروبا المحتلة " ويُعد الفصل التاسع الذي حمل عنوان" إبادة الجنس.. مصطلح جديد ومفهوم جديد لتدمير الأمم " أوسع موضوعات الكتاب انتشاراً وأكثرها مرجعية، وفيه أبتكر ليمكن – لأول مرة – مصطلح genocide من كلمة Geno اليونانية بمعني جماعة واللاحقة اللاتينية Cide بمعني "قتل" ليكون المعني عرف : ليمكن" "إبادة الجنس" بأنها: "لا تعني بالضرورة الإجهاز المباشر علي أمة ما أو جماعة عرقية إذا ارتكبت من خلال عمليات القتل الجماعي لأعضائها، بل إنها تعني خطة منهجية تستهدف تدمير البنية الأساسية لحياة جماعة قومية بغرض إبادة هذه الجماعة بذاتها.

وتهدف هذه الخطة إلي إفناء المؤسسات السياسية والاجتماعية والثقافية واللغوية والمشاعر القومية والدينية والكيان الاقتصادي، وتدمير الحرية والصحة والكرامة الشخصية، بل وحتي حياة الأفراد الذين ينتمون إلي هذه الجماعة. وبذا، تستهدف الإبادة جماعة قومية بأكملها. وتتأتي الأفعال الموجهة ضد الأفراد لانتمائهم إلي هذه الجماعة القومية بعينها وليست لصفاتهم الشخصية."

وهكذا، كانت التجربة النازية سبباً مباشراً وراء ابتكار "ليمكن" مصطلح " إبادة الجنس" وصياغة مفهومه: "تدمير أمة او أية جماعة قومية"، شريطة وجود خطة منظمة ومنفذة ترمي إلي إفناء هذه الجماعة برمتها. وعرف الإبادة البيولوجية بأنها: " منع التكاثر فيها."

ورغم ريادة "ليمكن" في مضمار " إبادة الجنس"، فإن تعريفه قد اتسم بالضيق، عندما قصره علي الجرائم الموجهة ضد "جماعات قومية" حصرياً وليست ضد "جماعات" مطلقة بصفة عامة. وفي الوقت ذاته، اتسم هذا المفهوم بالاتساع، حيث لم يقف عند حد الإبادة المادية فحسب، بل شمل الأفعال الرامية إلي إفناء حضارة الجماعة وسبل معيشتها .علي أية حال، أغري نجاح وانتشار كتاب" حكم المحور" لاسيما فصله التاسع، "ليمكن": بالوثوب قفزة أعلي نحو تجريم " إبادة الجنس"



علي مستوي القانون الدولي، مستغلاً تعيينه خلال عامي ١٩٤٥ و١٩٤٦ مستشار لمحكمة الولايات المتحدة العليا ومستشار لقاضي محاكمات نورمبرج، روبير جاكسون. وفي أثناء العلميات التحضيرية لمحاكمات نورمبرج، ناضل ليمكن من أجل إدراج مصطلح" إبادة الجنس" في جدول المحاكمة. ولكنه وإن أخفق في جعل الإبادة جريمة دولية قائمة بذاتها، فإنه نجح في إدخالها ضمن ميثاق محكمة نورمبرج كنوع من أنواع " الجريمة ضد الإنسانية "، مما يعد خطوة مهمة علي درب تجريم الإبادة دولياً. وفي ١٨ أكتوبر ١٩٤٥، صدرت عريضة الاتهام ضد مرتكبي جرائم الحرب الرئيسيين من الألمان، وقد نصت علي أن عرقية وقومية....وبذا، تكون هذه العريضة أول وثيقة دولية تستخدم كلمة" إبادة جنس. "

وهكذا، دخل مصطلح" إبادة الجنس" لغة القانون عقب الحرب العالمية الثانية، عندما استخدم للمرة الأولي في مستندات محكمة نورمبرج الخاصة بالمسئولية القانونية الجنائية ومحاكمة كبار مجرمي الحرب من الألمان وغيرهم.

وفي ظل هذا النجاح الجزئي، سعي ليمكن للدفع بأفكاره قدماً إلي الأمام، واتجه إلي الجمعية العامة للأمم المتحدة بنيويورك في محاولة لحمل المنظمة الوليدة علي إدانة أفعال " إبادة الجنس" كجريمة دولية ثابتة.

بذل " ليمكن" جهودا واسعة من أجل تكوين لوبي داخل منظمة الأمم المتحدة بغية استصدار قرار، أو بالأخرى قانون يجرم- إن لم يمنع – محاولات جديدة للقضاء علي أمة ما. وتطلع إلي أن تعلن الجمعية العامة، بموجب قرار تتخذه، أن " إبادة الجنس" جريمة يُعاقب عليها القانون الدولي ويدينها العالم المتحضر وتستوجب العقاب علي اقترافها. وفي هذا الصدد، أخفق في إقناع مندوبي القوي العظمي – عدا مؤازرة معنوية من الولايات المتحدة – وفشل مع ممثلي الدول التي عانت من ويلات الحرب العالمية الثانية، ولكنه نجح في إقناع وفود كوبا والهند وبنما بتبني فكرته وطرحها في جدول أعمال الجمعية وحرر لهم مسودة القرار.

ولذا، تقدمت الوفود أنفة الذكر بـ" مشروع قرار خاص بإبادة الجنس" إلي الجمعية العامة للأمم المتحدة إبان دور انعقادها الأول في خريف ١٩٤٦. وقد تمخضت الجهود عن قرار الجمعية العامة في ٩ نوفمبر ١٩٤٦ بتبني مصطلح " إبادة الجنس"، وأحالت مشروع القرار إلي " اللجنة السادسة" المنوط بها القضايا القانونية لدراسة إمكانية إعلان " إبادة الجنس" جريمة دولية. وبعد سلسلة من المناقشات والمجادلات والاقتراحات، اعتمدت اللجنة السادسة بالإجماع " مشروع قرار" خاصا بإبادة الجنس يوم ٩ ديسمبر ١٩٤٦، ورفعته إلي الجمعية العامة التي أقرته بالإجماع يوم ١١ ديسمبر ١٩٤٦، وصار يحمل رقم (٩٦١). وقد عرفت ديباجة القرار بإبادة الجنس بإنها: " إنكار حق الوجود لجماعات بشرية بأكملها" علي عكس جريمة القتل التي تعد إنكار حق الحياة لفرد من الجنس البشري. وفي ضوء هذه الديباجة، أعلنت الجمعية العامة أن " إبادة الجنس جريمة تقع تحت طائلة القانون الدولي ويدينها العالم التمدن، ومن ثم يخضع مرتكبوها للعقاب، سواء كانوا فاعلين أساسيين أو شركاء وسواء كانوا أشخاصا عاديين أو موظفين حكوميين أو رجال سلطة، وسواء كانت الجريمة قد ارتكبت علي أساس ديني أو عنصري أو سياسي أو علي أي أساس أخر". وكلفت الجمعية العامة المجلس الاقتصادي والاجتماعي بإعداد الدراسات الضرورية بغية وضع مسودة الجمعية العامة.

وهكذا، يعد القرار رقم ٩٦١ بمثابة الأساس المرجعي الذي انطلقت منه وبنيت عليه خطوات تدشين الاتفاقية المبتغاة. وتفعيلاً لهذا القرار، أخذ المجلس الاقتصادي والاجتماعي ينشغل بتقنين جريمة" إبادة الجنس". وتجدر الإشارة إلي وجود ثلاث مسودات لاتفاقية" منع إبادة الجنس والعقاب عليها" قبل إقرار الأمم المتحدة لها،وهي: مسودة وفد المملكة العربية السعودية التي أعدها محمد عبد المنعم رياض بك المصري (doc.A/C/٦٨/١٦)، ومسودة الأمين العام للأمم المتحدة (doc٤٤٧) ،

ومسودة اللجنة المختصة بإبادة الجنس (doc.E/٧٩٤) وبعد دراسة تفصيلية، وفي مستهل ديسمبر ١٩٤٨، رفعت اللجنة السادسة تقريرها النهائي إلي الجمعية العامة، متضمنا مسودة الاتفاقية التي أعدتها اللجنة المختصة بإبادة الجنس. وعلي مدار جلستين، ناقشت الجمعية العامة مشروع الاتفاقية. وأخيراً، وبموجب القرار رقم٢٦٠٣ الصادر يوم ٩ ديسمبر ١٩٤٨، وافقت الجمعية العامة بإجماع الحاضرين علي " اتفاقية الأمم المتحدة لمنع إبادة الجنس" أو " اتفاقية الإبادة" في الأجزاء التالية من المقال وقد دخلت الاتفاقية حيز التنفيذ في ١٢ يناير ١٩٥١، بعد أن صدقت عليها "٢٠ " دولة طبقا لنص المادة الثالثة عشرة .

وبذلك، يرجع الفضل في ظهور هذه الاتفاقية إلي الجهود الحثيثة التي قام بها المجلس الاقتصادي والاجتماعي ولجانه المعنية بأمر " إبادة الجنس" وكذا الجمعية العامة، علاوة علي الدور العلني والخفي لفقيه القانون رافائيل ليمكن. وُتعد هذه الاتفاقية أول اتفاقية إنسانية عامة متعددة الأطراف تظهر عقب الحرب العالمية الثانية، وتنتمي إلي ما سماه الفقه القانوني بـ " الاتفاقيات الإنسانية" التي تُبرم، كما يستدل من مسماها، لخدمة مصالح الإنسانية. ولذا، لا يتعلق الأمر بدول تسعي إلي مصالح فردية أو قومية، ولا بتأمين حقوق أو امتيازات فردية بقوة تلك الاتفاقيات. وارتكزت الاتفاقية علي التراضي الجماعي لقطاع يمثل بشكل كافٍ المجتمع الدولي، بما في ذلك جميع القوي العظمي، إذ صاغها جميع الأعضاء في الأمم المتحدة وأقرتها الجمعية العامة بالإجماع.

ولا ريب في أن" اتفاقية الإبادة" تمثل المرجعية القانونية ذات الحجة فيما يخص جريمة "إبادة الجنس"، إذ أنها قد عرفت المصطلح وأرست مدلوله كأذى إجرامي دولي وشملت مواد ناصة على منع الجريمة وأخرى للعقاب عليها. ويستشف من ديباجة الاتفاقية أنها تبغي حماية الجنس البشرى وتحريره من "هذه الآفة البغيضة" التي كبدت الإنسانية خسائر فادحة على مر التاريخ، وضمان الأمن والحقوق الأساسية لجماعات بعينها من الناس قد" اختيرت" لتكون ضحايا لأشبع الجرائم قاطبة. وتتكون الاتفاقية من"١٩" مادة يمكن تقسيمها إلى ثلاث فئات (المواد الجوهرية من١-٤، المواد الإجرائية من٥-٩، والمواد الفنية من١٠-١٩) .

تحليل مفهوم إبادة الجنس:

بعد معركة ضارية، وبعد سلسلة من " التسويات الدبلوماسية" ، استقرت اللجنة السادسة نهائياً- وهو ما أقرته الجمعية العامة للأمم المتحدة في ٩ديسمبر١٩٤٨- على أن يكون مفهوم الاتفاقية لجريمة" إبادة الجنس" حسبما ورد في مادتها الثانية": أي من الأفعال التالية المرتكبة بقصد التدمير الكلى أو الجزئي لجماعة قومية أو عرقية أو عنصرية أو دينية بصفتها هذه:

أ - قتل أعضاء من الجماعة.

ب- إخضاع الجماعة، عمداً، لظروف معيشية يراد بها تدميرها المادي كلياً أو جزئياً.

ت - فرض تدابير تستهدف منع الإنجاب داخل الجماعة

ث - نقل أطفال عنوة من الجماعة إلى جماعة أخرى.

وعلى المستوى العقابي، تنص المادة الثالثة من الاتفاقية على معاقبة الأفعال الآتية: اقتراف الإبادة في حد ذاتها على نحو ما حددته المادة الثانية، التآمر على اقترافها، الشروع في اقترافها، الاشتراك في اقترافها. من وجهة المسئولية الجنائية، تؤكد المادة الرابعة معاقبة مرتكبي" إبادة الجنس " أو الأفعال الواردة في المادة الثالثة، سواء كانوا حكاما أو موظفين عموميين أو مواطنين عاديين. وبذا، استبعدت الاتفاقية أي دور للدول أو الحكومات في ارتكاب جريمة" إبادة الجنس".

وبذلك، أعدت الاتفاقية مفهوماً قانونياً معترفاً به دولياً لجريمة الإبادة، قوامه أربعة أركان محورية هي:

فعل جنائي ، تعمد تدمير كليا أو جزئيا، جماعة قومية أو عرقية أو عنصرية أو دينية، مستهدفة.

ووفقا لهذا المفهوم، تتكامل أركان الجريمة في " إبادة الجنس" ماديًا ومعنويًا، إذ يتوافر الركن المادي في تدمير أعضاء الجماعة المستهدفة كلياً أو جزئياً بإيتاء أحد- أو أكثر- الأفعال الخمسة المحصورة في المادة الثانية. ولا يشترط لوقوع هذه الجريمة إن يقود الفعل إلى غايته كليًا أو جزئيًا، فيكفى توافر النية الإجرامية المتعمدة عند الجناة للوصول إلى هذه الغاية، وهو ما يمثل الركن المعنوي في جريمة الإبادة.

وجدير بالرصد أن معركة المفهوم الأمثل لجريمة" إبادة الجنس" لم تنته عند حد تسويات اللجنة السادسة وإقرار الجمعية العامة لاتفاقية الإبادة فى٩ديسمبر١٩٤٨، بل تعرض مفهوم الأمم المتحدة- ولا يزال- لسلسلة من الانتقادات بسبب غموضه والتباساته وتداخلاته وثغراته ونقائصه، رغم سمته القانونية الدولية الرسمية.

وفيما يلي نعرض لأبرزها وأهمها:

الجماعات المحمية:

فيما يتعلق بالجماعات المحمية، ثمة انتقادات عدة قد وجهت إلى " الجماعات" التي اختصتها اتفاقية الإبادة بالحماية. ففي الابتداء، لم تحدد المادة الثانية - بل والاتفاقية برمتها- ماهية مصطلح" الجماعة" الوارد بها، أكثر من هذا ، حددت المادة الثانية أربع فئات حصرياً ينبغي حمايتها وهى : الجماعات القومية والعرقية والعنصرية والدينية دون تحديد معنى هذه المصطلحات، من منطلق أن جريمة " إبادة الجنس" تقترف ضد الجماعة تمتلك سمات مشتركة ثابتة مستقرة يمكن التعرف عليها بسهولة.

ومن ثم، تركت الاتفاقية تحديد ماهية المصطلحات أنفة الذكر إلى استنتاجات المشتغلين في العلوم الإنسانية والاجتماعية، وإلى اجتهادات المعنيين بالأمور القانونية، تحكمهم أو- بالأحرى- تتحكم فيهم أهواء سياسية ومصالح اقتصادية وميول اجتماعية.

ولا يخفى أن الفعل الإجرامي لن يصنف" إبادة الجنس" إلا إذا استهدف تحديداً واحدة من الجماعات الأربع أنفة الحصر. وهنا، تكمن خطورة" التقديرية" في تحديد ماهية" الجماعات المستهدفة " على المستويين العلمي والقضائي.

ويصف كثير من المشتغلين بالدراسات الإبادية والقانونية الجماعات المحمية -عدا الدينية- بموجب اتفاقية الإبادة بـ "الغموض"، نظراً للتداخل والتشابك بين ما هو " قومي" و " عرقي" و"عنصري"، ونادوا بإمكانية تعريف" الجماعات المحمية" على نحو مختلف بناء على " النوع" أو على " مكان محدد". ورغم قناعتهم بأن جل مقاصد مهندسي الاتفاقية تتمثل في حماية الجماعات المستقرة المشكلة نهائياً، وتتحدد عضويتها من خلال التناسل مع استبعاد الأكثر تنقلاً التي ينضم إليها الشخص إرادياً وطوعياً، فإنهم غير راضين عن هذا المفهوم، إذ أن عضوية الشخص في جماعة" دينية" أو " قومية" قد تتغير على مدار الحياة وتحل محلها جماعة جديدة.

وجدير بالملاحظة أن الافتقار إلى الوضوح بشأن الجماعات التي تتمتع بالحماية، والتي لا تتمتع بها، قد قلل من فاعلية الاتفاقية وجعلها أكثر استعصاء على الفهم مما كان الواجب أن تكون عليه، ولذا، يُطالب كثيرون بأن تحظى قائمة الجماعات الواردة في المادة الثانية من الاتفاقية بـ " تفسير رحب ومتحرر"، وطالبوا بأن يمتد مفهوم الإبادة ليشمل " الجماعة الجنسية " مثل النساء والرجال أو الشواذ. علاوة على ذلك، قد تشكل الجماعة المستهدفة إما أقلية عددية في بلد ما وإما أغلبية فيه.

وجدير بالإضافة أيضاً ألا يستبعد مفهوم الإبادة التي يكون فيها الضحايا من بين مكونات نفس الجماعة الجاني فيما يمكن أن يسمى " إبادة جنس ذاتية" ، أي القضاء الداخلي الشامل على قطاع ذي دلالة من

أفراد جماعة المرء ذاته الأمر بالقضاء الشامل.
وفى سياق متصل ، ثمة انتقاد حاد يوجه صوب الجماعات المحمية بموجب اتفاقية الإبادة، يتمثل في محدوديتها وحصيرتها، مما أجحف بحقوق جماعات أخرى لم تكفل الاتفاقية حمايتها، أمثال الجماعة السياسية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية. جدير بالتسجيل هنا أن الإسقاط المقصود للجماعتين الأوليين لا يعد من عيوب مفهوم" إبادة الجنس" فحسب، ولكن من نقائص الاتفاقية برمتها

الجماعة السياسية:

يكاد يتفق معظم مؤرخي ومحلى" اتفاقية الإبادة" على إن من أهم" نواقصها الخطيرة" عدم الإشارة إلى الأفعال العدوانية بقصد تدمير "الجماعة السياسية" باعتبارها أفعالاً تشكل " إبادة جنس". وقد طالب هؤلاء بضرورة أن يتسع مفهوم " إبادة الجنس"، حتى يشمل الأفعال المرتكبة بقصد التدمير الكلى أو الجزئي لـ" الجماعة السياسية" بصفتها هذه مثل الجماعات القومية أو العرقية أو العنصرية أو الدينية، وحسب رأيهم، لا يخفى إن القضاء على الخصوم السياسيين غير المسلحين لا يقل البته إجراماً عن المذابح التي تقام لتلك الجماعات الأخرى، ويجب إن يعتد به باعتباره كذلك، ونادى البعض بضرورة حماية الاتفاقية لجميع" الجماعات الإنسانية" عموما.

إذ عندما ترك واضعو الاتفاقية" الجماعة السياسية", ومن هم على شاكلتها، خارج الحماية المنصوص عليها، فأنهم بذلك قد تركوا الباب مفتوحاً إمام أية حكومة لتلفت من الواجبات الإنسانية المفترض أن تكفلها الاتفاقية، إذ تضع " إبادة الجنس " موضع التنفيذ تحت ستار الإجراءات التنفيذية المتخذة ضد " الجماعة السياسية" وغيرها لأسباب أمنية أو تتعلق بالنظام العام أو بأي من سائرها المتصل بالسياسة العليا للدولة.

وربما إذا استحال الدفع بالأسباب السياسية كعذر مقبول للإجراءات الإبادية المطبقة على جماعة تتمتع بالحماية وفقاً للمادة الثانية، فقد بات على العكس متيسرًا احتمال الدفاع عن تلك السياسة الحكومية على أسس اقتصادية أو اجتماعية أو ثقافية.

وعندئذ، لا يشكل الطابع القومي أو العنصري أو الديني للجماعة المبرر لأفعال التدمير موضع الاهتمام. ولكن يدعى أن الإجراءات قد اتخذت ضد نفس الأشخاص أعضاء هذه الجماعة أو تلك، باعتبار كونهم من أفراد جماعة اقتصادية أو اجتماعية أو ثقافية وبعبارة أخرى، جماعة غير متمتعة بالحماية.

وتنتقد المادة الثانية من الاتفاقية بنحوها إزاء الجريمة الفردية دون الاضطهادات التي تحرض عليها الحكومات. علاوة على ذلك، في بعض حالات المذابح الرهيبة، يصعب تحديد تلك التي من بين الجماعات السياسية أو الاقتصادية أو القومية أو العنصرية أو العرقية أو الدينية، والمتداخلة جميعاً فيما بينها، تكون المستهدفة بصفة رئيسية أو غلابة، وباختصار ، آن لمعظم ضروب" إبادة الجنس" شيئا على الأقل من المسحة السياسية.

على أيه حال ، لم تستبعد" الجماعة السياسية" اعتباطاً- إذ إن المجال السياسي الذي تخلل إعداد الاتفاقية كشف عن جهود الاتحاد السوفيتي تحديداً- لإقصاء هذه الجماعة. ولا يخفى أن ستالين١٩٢٨-١٩٥٣كان قد بدا سلفاً التصفيات التي استهدفت هذه الجماعة بالذات. وتجدر الإشارة إلى أن هذه الثغرة في "اتفاقية الإبادة" عموماً وفى المادة الثانية خصوصاً وفى مفهومها" إبادة الجنس" بالأخص، غير خافية على أحد.

بيد أنه لم تبذل أية جهود لسدها منذ إقرار الاتفاقية عام١٩٤٨.

ويطرح بعض فقهاء القانون أن أحد الحلول الممكنة لسد هذه الثغرة يتمثل في إعادة صياغة المادة الثانية من

الاتفاقية وضم " الجماعة السياسية" إليها في بروتوكول إضافي. ولكن على الأرجح الغالب، ربما تحول هذه "الألية الجديدة" دون غدو بعض الدول أطرافاً فيها. ناهيك عن أن ثمة آليات دولية، مثل " الإعلان العالمي لحقوق الإنسان" و" ميثاق الحقوق المدنية والسياسية"، تكفل فعلياً الحماية لـ " الجماعة السياسية" ومن بين الجماعات المحمية، بمقتضى اتفاقية الإبادة، في توصيف المفهوم بأنه" تعتيم فاجع" و"مفرط في التقلص"، إذ لم يقتصر الأمر على الإبادة السياسية فقط، ولكنه امتد إلى ما يُسمى ب" الإبادة الثقافية"، أي القضاء على مؤسسات الجماعة أكثر منه القضاء على وجودها المادي.

الإبادة الثقافية:

انتقد كثيرون اتفاقية الإبادة عموما والمادة الثانية خصوصاً التي عرفت " إبادة الجنس" بأن نصها النهائي لم يتضمن أيه إشارة مباشرة إلى "الإبادة الثقافية" الحضارية – عدا البند رقم٥– مما سيؤثر سلبيًا على وجود الأقليات ومستقبلها. وتجدر الإشارة إلى أن" الإبادة الثقافية" وردت ضمنياً في سياق قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم (٩٦٤).

علاوة على ذلك، حمل البند الثالث من المادة الأولى بمسودة الاتفاقية التي أعدها الأمين العام عنوان " الإبادة الثقافية."

كما كانت هذه الإبادة موضوعا مستقلاً للمادة الثالثة من مسودة الاتفاقية، التي أعدتها اللجنة المؤقتة المختصة بإبادة الجنس. وقد أثارت هذه المادة مناقشات مطولة بين أعضاء اللجنة الذين انقسموا إلى فريقين، أولهما: مؤيد لضم" الإبادة الثقافية" إلى الاتفاقية وثانيهما: معارض لهذا الضم وقد استند المطالبون بالضم إلى الحجج الأتية: – استحالة فصل " الإبادة الثقافية" عن الإبادة الجسدية والبيولوجية، لأن الأولى جزء متمم للتعريف العام لإبادة الجنس، كما أن الأولى لم تكن اقل بشاعة من الثانية. ولذا، ستكون الاتفاقية ناقصة إذا اقتصرت على حماية الجماعات البشرية ضد الإبادة الجسدية وحدها، خاصة أن " الإبادة الثقافية" تنبع من نفس" دوافع" الإبادة الجسدية وتصب في ذات " الأهداف."

–لا يُمكن لمواثيق ومعاهدات حقوق الإنسان أن تعلن "الإبادة الثقافية"كونها جريمة أو توفر السبل لمنعها والقضاء عليها.

–لا يكفى إدخال مواد في التشريعات الوطنية تضمن للجماعات القومية أو العرقية أو الدينية حرة التعبير عن نفسها.

–إذا كانت بعض مواد القوانين الوطنية تجرم " الإبادة الثقافية"، فيعد ذلك سبباً إضافياً لضم هذه الجريمة إلى" اتفاقية الإبادة" تماماً مثل القتل الجماعي والتسبب في الأذى الجسدي الخطير، وهما جريمتان يُعاقب عليهما القانون الدولي قد تم ضمهما إلى الاتفاقية.

أما الرافضون لضم" الإبادة الثقافية" إلى الاتفاقية، فقد تحججوا بالآتي:

–تحدث "الإبادة الثقافية"، سواء داخل إطار حماية حقوق الإنسان أو حقوق الأقليات تعد "الإبادة الثقافية"، مضموناً غامضاً، مما يتيح الفرصة للإفراط تحت هذا الستار ويخفض من قيمة الاتفاقية بدرجة كبيرة.

–ستجد المحاكم الدولية أو الوطنية نفسها في مأزق إذا تم استدعاؤها للبت في مجال غير محدد، مثل "الإبادة الثقافية" التي تخص مباشرة أكثر المميزات تعقيداً للروح الإنسانية .

–قد تتسبب "الإبادة الثقافية" بمضامينها السياسية في عدم تصديق بعض الدول على الاتفاقية.

على أية حال، قررت اللجنة السادسة عدم إدراج البنود الخاصة بالإبادة الثقافية في اتفاقية الإبادة. وقد ظل هذا الإسقاط مثار انتقاد شديد للاتفاقية. وطالب كثيرون إما بمراجعة مفهوم" إبادة الجنس" الوارد في الاتفاقية، وإما بإعداد بروتوكول إضافي لها يُقر بتجريم " الإبادة الثقافية". وفى المقابل، ثمة آخرون امتدحوا إسقاط" الإبادة الثقافية" من اتفاقية الإبادة"، إذ- وفقا لآرائهم- لا يتوافق مضمون الإبادة الثقافية مع المعنى الاصطلاحي لإبادة الجنس التي ترتبط فقط بالتدمير الجسدي أو الحيوي لجماعة بشرية . بيد أن الانتقادات بخصوص " الإبادة الثقافية" قد أسفرت عن مخاطبة الأمم المتحدة في مطلع سبعينات القرن العشرين أعضاءها وهيئات ومنظمات دولية لإبداء الرأي حول " الإبادة الثقافية" وإمكانية ضمها إلى اتفاقية الإبادة أو في آلية إضافية للاتفاقية. وتجدر الإشارة إلى إحجام الحكومات والمنظمات والهيئات حتى عن مجرد" إبداء الرأي" فيما يخص " الإبادة الثقافية"، مما يعكس رغبتها في عدم تجريم هذا النمط، لا في اتفاقية الإبادة ولا حتى في ملحق إضافي لها.

القصد الخاص:

حسب المادة الثانية من اتفاقية الإبادة، يمثل".. قصد التدمير الكلى أو الجزئي لجماعة.." الركن الكريز وحجر الزاوية في مفهوم جريمة" إبادة الجنس" والسمة الفارقة لها عن إيه جرائم شبيهة أو متداخلة. ناهيك عن كونه الركن المعنوي لهذه الجريمة التي لا تكتمل الأركان إلا إذا توافرت لدى الجناة" نية" تدمير الأشخاص ليس بسبب كنيتهم أو هويتهم الخاصة، وإنما لأنهم أعضاء في إحدى الجماعات الأربع المحمية بموجب الاتفاقية..

وبالتالي تعد عضوية الضحايا في جماعة بذاتها العامل الحاسم في وقوع جريمة " إبادة جنس " بغض النظر عن ضراوة الجريمة وعدد ضحاياها، في حين أن قتل شخص واحد مع توافر هذا القصد يصنف " إبادة جنس."

إذن، يُعد القصد الخاص ممثلا في إرادة إفناء الجماعة المستهدفة شرطا محوريا وجوهريا في وقوع جريمة " إبادة الجنس" ، علاوة على القصد العام. وبذا، تبوأت " نية الجناة " وعلاقتها العضوية بالأفعال الرامية لتدمير الجماعة المستهدفة موقعا محورياً في جريمة" إبادة الجنس" . بيد أن إثبات هذه النية، باعتبارها قصدًا جنائياً خاصاً، يُعد من المعضلات الشائكة في مفهوم الإبادة، إذ أن شرطية " النية " تظهر أن المسئولية الجنائية تقع بصفة جوهرية على أولئك الذين يخططون لسياسة تقصد تحديداً تدمير جماعة مستهدفة، كلياً أو جزئياً، أو يشرعون في هذه السياسة أو ينفذوها. بيد أنها لا تجيب على الأسئلة الخاصة بمسئولية أولئك المتخذين مواقعهم على سلم التنفيذ في الدرجات الأدنى منه، وماهية المعايير القانونية اللازمة لإثبات مسئوليتهم القانونية تلك، ولا ريب في أن إثبات " القصد الجنائي الخاص" في معظم الأنظمة القانونية أصعب من إثبات القصد العام الذي يمكن إثباته بالمنهج الاستدلالي.

ومهما يكن من أمر، فإذا كانت القصدية الخاصة intentionality قد شغلت موقعًا مركزيًا في مفهوم الإبادة، فإنها أيضاً أبرز الانتقادات الموجهة صوب مفهوم الإبادة والاتفاقية معاً.

إذ بموجبها، غدا المفهوم القانوني لإبادة الجنس" معيباً على نحو صارخ". فبدلاً من صياغة مفهوم موضوعي للإبادة - وهو ما كان ينبغي- نحت مصممو الاتفاقية مفهوماً مرتكزًا على إثبات وجود القصد، مما أضعف من قدرتها أو فاعليتها.

ولا ريب في أن القصدية الإبادية الخاصة أثارت مشكلات لا تزال معلقة، إذ أن اتفاقية الإبادة لم تقدم إرشادات واضحة لتحديد" القصد" ومن ثم، تركت للقضاة والمحلفين حسم هذه المسالة بمقتضى المسئولية الذاتية. وإذا كان إثبات القصدية وعرًا في ساحات

الذاتيـة. وإذا كـان إثبـات القصـدية وعـرًا في سـاحات القضـاء، فلا مندوحة في أنه سيغدو أكثر وعورة وتعقيدًا على بساط البحث العلمي. زد أيضا أن القصدية تصبغ نوعاً من عدم المنطقية على الأنظمة القانونية التي تصنف مقتل فرد واحد بمثابة جريمة" إبادة جنس" لتوافر النية الخاصة، ولا تصنف مقتل عديدين كذلك لعدم توافرها. وهنا- تحديداً- قد يُحاجج الجناة بأنهم لم "يقصدوا" بأفعالهم الإجرامية تدمير الجماعة المستهدفة.

ورغم هذه الثغرات والالتباسات الناجمة عن القصدية، فإن استبعادها من مفهوم جريمة الإبادة قد يمحو أي تتميز بينها وبين ما عداها من جرائم. بيد أن الاتفاقية قد ألقت نية تدمير الجماعة المستهدفة بأكملها ونية تدمير بعضها في سلة واحدة ولعل هذه الملاحظة تُثير قضية جد شائكة مرتبطة بماهية "الإبادة الجزئية ."

إذ إن الاتفاقية لم تُحدد المقصود بالتدمير الجزئي للجماعة المستهدفة، ولم تلوح إلى أي مدى أو حجم يكون هذا الجزء، وكذا نوعيته وفاعليته، مما أسفر عن معضلة فقهية بقدر ما هي بحثية أيضاً، وثمة سؤال يطرح نفسه على بساط البحث هو: هل تدمير الجماعة المستهدفة يشمل تواجدها في أي مكان، أم يقتصر على قطاع محدد منها يميزه الجاني ويقصده في إقليم جغرافي بذاته أو شريحة من الجماعة شان مثقفيها أو نسائها؟ تجدر الإشارة إلى أن الاتفاقيـة قـد اسـتخدمت تعبـيرًا "كليًـا أو جزئيًـا"، وهـو مصـطلح ملتبس، تاركـة أمـر تأويلـه إلى القضـاة والبـاحثين الـذين خلصـوا إلى أن جنـاة الإبادة لابـد أن يقصدوا تدمير قطاع جوهري من الجماعة المستهدفة.

وحتى يتسم هذا القطاع " بالجوهرية"، فلابد أن يكون ذا دلالـة، معنوياً داخـل الجماعـة. ومـن ثم، فقـدان القطـاع كمياً وكيفياً في بقاء الجماعة المستهدفة على قيد الحياة ويعد على تدميرها جزئياً. وفى هذا الصدد، تجدر الإشارة إلى إن أهميـة عـدد الضـحايا في إثبـات النيـة الابادية. إذ كلما كان عددهم كبيرًا، يصير إثبات النية أمراً أيسر نسبيًا، ويغدو الأمر أكثر بقليل من الاستنباط المنطقي للحقائق .

وعلى النقيض تمامًا، كلما انخفض عددهم، باتت الحاجة إلى بعـض العناصـر الأخـرى، مثـل وجـود خطـب وتصريحات تحرض على الإبادة وتـدمير الرموز الثقافيـة والحضارية، مصحوبة بإعمال عنيفة. وهكذا، لا يشترط أن تتعلـق" إبادة الجـنس" بتـدمير الجماعـة المسـتهدفة بأكملها، إذ أن المدى النسبي" للقضاء الفعلي عليها، أو لمحاولة القضاء عليها بأي من الوسائل المذكورة في المادتين الثانية والثالثة من الاتفاقية عليها جزئياً كان أو كلياً.

وتبقى دلالة المدى النسبي للإعداد الكلية معيارًا حاسماً في قضـية" الإبادة الجزئيـة"، حـتى لا يـتم التقليـل مـن قيمـة مفهوم" إبادة الجنس" أو تمييعه بفعل تكاثر الحالات التي يتسع لها اثر تفسير مبالغ في الشمول. ولذا، لا يفضل أن تطبق الاتفاقية على حالات " الإبادة الفردية"، خاصة إن المادة الثانية تستخدم صيغة الجمع على امتداد الحالات الإبادية الخمس.

الأفعال الإبادية :

حصرت المادة الثانية من الاتفاقية الأفعال التي تصنف بأنهـا " إبادة جـنس" في عـدة إشـكال، يمكـن تقسـيمها على النحو الآتي:

-(الإبادة المادية الجسدية): وتشمل: قتل أعضاء من الجماعة، وإلحاق أذى جسدي أو نفسي خطير بأعضاء مـن الجماعـة، وإخضـاع الجماعـة- عمـدا- لظـروف معيشية يراد بها تدميرها سواء كلياً أو جزئياً.

-(الإبادة البيولوجيـة الحيويـة): وتخـتص بفـرض تـدابير تستهدف منع الإنجاب داخل الجماعة.

-(الإبادة الثقافية الحضارية): وتركز فقط على نقل أطفال عنوة من الجماعة إلى جماعة أخرى.

ثمـة التباسـات في الأفعـال الابا‌ديـة، اعتبرهـا الـبعض

"بمثابة سلاح محشو مصوب إلى مواطني أيه دولة".

كما أنها ليست كل الوسائل التي يمكن بها تدمير جماعة مستهدفة، ذلك يُمكن الوصول لهذه الغاية عن طريق الترحيل أو تغيير الموقع الذي تشغله الجماعة تغييرًا جذريًا، أو الاحتجاز أو الاستبعاد، أو سلخ جنسية أفرادها عن طريق الإرهاب المنظم والتعذيب والمعاملة اللا إنسانية، وغيرها من إجراءات بها ترويع الضحايا من أذى يمكن إلحاقه بأبدانهم. زد أيضا إن حصرية الأفعال الإبادية في خمسة أنماط فقط قد أغلقت الباب إمام احتمالية إضافة أنماط إبادية مستخدمة مستقبلاً.

ولا ريب في أن مرد هذا الخلل يكمن في مناخ إعداد الاتفاقية، إذ وقع مهندسوها أسري أفكار" ليمكن" وتصوراته عن مفردات جريمة" إبادة جنس" المنبثقة عن التجربة النازية التي شكلت بؤرة مركزية في صياغة مفهوم الإبادة. كما أن اتفاقية الإبادة، شأن أيه ألية قانونية، كانت نتاج مفاوضات بين أطراف عدة تتبنى وجهات نظر شتى متناحرة، ونظروا إلى مفردات هذه الجريمة من منظور مصالحهم، ولذا، وصف البعض مفهوم الإبادة الذي أوردته المادة الثانية من الاتفاقية بأنه " باهظ الثمن وشامل لدرجة أنه يغطى تقريباً أي إثم، ويمتد ليتضمن تقريبا أي فعل من أفعال العنف أو التحريض على العنف ضد أي نوع من أنواع الضحايا تقريبا."

دور الدولة

اتسمت المادة الثالثة بنطاق الأفعال الواقعة في الإطار القانوني للاتفاقية، مما يستشف منه مدى تعقد الأفعال التي تسهم في" إبادة جنس". وحرى بالذكر أنه بتجريم الاتفاقية لأفعال متصلة "بإبادة الجنس"، امتدت بنطاق الادعاء القانوني حتى يشمل أكثر من حيز له أهميته. وبدلاً من تقديم تعريف لأفعال غير" إبادة جنس" المعدة إجرامية، اكتفت المادة الثالثة بمجرد رصد تلك الأفعال: التآمر، التحريض المباشر والعلني، الشروع، التواطؤ. ومع هذا تُعد اتفاقية الإبادة واحدة من تلك الاتفاقيات المبكرة في حقل القانون الجنائي الدولي التي تعاملت بشكل مباشر مع مفهوم المسئولية الجنائية الدولية لأفراد. ولذا، فإنها تُمثل اتفاقية جنائية ذات دلالة في ساحة حقوق الإنسان، وتهدف على نحو خاص إلى حماية الجماعات التي تعرضت للتصفية من جانب غيرها من

وهنا، تأتى المادتان الأولى والسادسة من الاتفاقية في مقدمة المواد ذات الصلة بهذه القضية. إذ وفقاً للمادة الأولى، تُؤكد الأطراف المتعاقدة إن: "إبادة الجنس" جريمة بموجب القانون الدولي، وتأخذ على عاتقها منعها والعقاب عليها. وتؤكد هذه المادة إمكانية ارتكاب" إبادة الجنس" في زمني السلم والحرب بهدف الحيلولة دون إفلات الأفراد من المسئولية الجنائية الدولية باللجوء إلى مختلف الذرائع القانونية، بناءً على القوانين الوطنية وبناءً على القانون الدولي. وقد تعرضت المادة السادسة من الاتفاقية مباشرة لمفهوم المسئولية الجنائية الدولية للأفراد عن ارتكاب جريمة " إبادة الجنس ."

وحسب هذه المادة يحاكم الأشخاص المتهمون بارتكاب جريمة الإبادة أو أي أفعال أخرى، من بين تلك التي عددتها المادة الثالثة أمام محكمة للدولة مختصة، وفى الأراضي التي ارتكب عليها الفعل، أو أمام المحكمة الجنائية الدولية ذات السلطة القانونية على الدول التي قبلت الأطراف المتعاقدة سلطتها فيها. وتكمن أهمية هذه المادة ليس في امتدادها بمفهوم العقاب إلى الأفراد فحسب، بل أيضاً في إقرارها أن محاكمة مرتكبي" إبادة الجنس" وعدم تركهم دون أن ينالوا ما يستحقون من عقاب يُعد مبدأ دولياً وليس وطنياً.

ولعل هذه الملاحظة تثير انتقادًا حادًا يوجه دوماً للاتفاقية، مفاده أنها قد " أغفلت أي دور للدول والحكومات والسلطات المسئولة في ارتكاب جريمة إبادة الجنس". وحسب هذا الانتقاد، لا يُمكن بديهيًا ارتكاب الإبادة في غياب خطة أو سياسة للدولة ترمى إلى إبادة الجماعة المستهدفة، إذ فقط حكومة وطنية هي التي تمتلك السلطة اللازمة من أجل ارتكاب هذه الجريمة، وفى إمكانها فقط عند غزو قواتها لبلد أخر أن تحاول تدمير جنس بأكمله يعيش خارج حدودها.

ومن ثم فلا أفراد ولا مجموعة من الأفراد في مقدورهم

ارتكاب الإبادة. وحتى لو حاولوا، فسوف يزج بهم سريعاً إلى السجون بموجب قوانين جنائية راسخة. وهكذا، وحسب الخبرة التاريخية، يتضح أن طبيعة جريمة الإبادة ذاتها تفرض أن تكون من صناعة الدولة ومؤسساتها وممثليها .

وهنا، ثمة سؤال صعب يطرح نفسه بإلحاح هو: من سيقوم بمحاكمة مرتكبي الإبادة إذا كان حكام دولة ما هم من خلفها؟ وهل تستطيع محاكمها أن تتولى بشكل جاد تحقيق العدالة؟

ومهما يكن من أمر، فقد رفضت" اتفاقية الإبادة " أية مسئولية جنائية للدول أو الحكومات أو السلطات الحاكمة في ارتكاب جريمة الإبادة، وأعلت مفهوم المسئولية الفردية فوق أي دفع بإطاعة الأوامر العليا. بيد أن مسئولية الأفراد لا تتطلب بالضرورة استبعاد المسئولية الكلية للدولة تجاه الضحايا، لاسيما في الحالات التي تستدعى تعويضات أو استردادات.

ولذا، يلزم معالجة هذا القصور في الاتفاقية بإضافة مادة عن مسئولية الدولة عن جريمة الإبادة، وكذلك التعويضات للحيلولة دون تشجيع تكرار مثل هذه الجريمة .

ورغم أن الاتفاقية تركز – عكس ما هو وارد في عنوانها– على معاقبة الإبادة لا منعها، فإن الافتقار إلى الأثر الفعال يُعد أكثر وضوحاً في حالة العقاب، إذ أن ثمة عقبة رئيسية تقف أمام التنفيذ الفعال، مبعثها النكوص عن قبول أي خرق للسيادة الوطنية، أو قبول أي انتقاص في مجال السيادة الوطنية، وكذا الخوف من التدخل الخارجي في الشئون الداخلية.

خاتمة:

تلك هي أهم الانتقادات التي وجهت إلى مفهوم " إبادة الجنس"، كما أقرته منظمة الأمم المتحدة منذ ستين عاماً. ورغم خضوع هذه المنظمة في صياغة الاتفاقية عموماً ومفهوم الإبادة خصوصاً هذه المنظمة في صياغة الاتفاقية عموماً ومفهوم الإبادة خصوصاً لإرادة أعضائها– لاسيما أكابرهم– فإن هذه الاتفاقية تمثل الألية القانونية الدولية الوحيدة فقط المختصة بشأن جريمة" إبادة الجنس .

" ومنذ إقرارها في ٩ديسمبر١٩٤٨، وسريان مفعولها بدءًا من ١٢يناير١٩٥١، لم تخضع لأية تعديلات أو إضافات أو حتى مراجعات لمعالجة القصور الذي اعتورها، رغم الحاجة الملحة إلى هذا على نحو ما اتضح بين ثنايا المقال. ومن المفارقات أن المجتمع الدولي قد تغاضى عن تصويب" الثغرات المعيارية" في اتفاقية الإبادة. ويُمكن تفسير ذلك – من منظور تقني– في أن الاتفاقية لم تُؤسس ألية دائمة يُناط بها مواكبة المستجدات التشريعية والسياسات والتكنولوجية. ومن منظور سياسي، لا ترغب الحكومات والأنظمة في قبول العواقب القانونية التي قد تنشا عن نصوص أوسع مما احتوتها الاتفاقية. وفى هذا الصدد، لا يُخفى أن عدداً ليس بقليل من الدول إما أنها قد ارتكبت تاريخياً " إبادة الجنس" أو لا تزال تُمارسها فعلياً.

ورغم التسليم بأن الاتفاقية تمثل أول مرجعية لحقوق الإنسان تمنع جريمة بعينها وتعاقب على اقترافها، فإنها تستحق، ولاسيما مفهومها عن الجريمة، تفسيراً متطوراً يتماشى مع التغيرات المتلاحقة بما لا يخل بجوهرها وبغايتها. ويبدو أن رعاة الاتفاقية قد اعتقدوا أن جريمة" إبادة الجنس" لن تتكرر مرة أخرى، ولذا شيدوا نصباً تذكارياً للماضي بدلاً من تأمين سلاح لتنظيم المستقبل، مما يفسر ظهور الثغرات لاحقاً. ولعل السؤال الذي يطرح نفسه أخيراً هو: هل تحققت أمنيات " ليمكن" في منع جرائم إبادة الجنس؟ وهل نجحت الاتفاقية في انجاز أهدافها مع التقدير الرفيع" لليمكن"؟ ومع الاحترام الكامل لاتفاقية الإبادة– معنى ومبنى ومغزى– فإن الإبادات قد ارتكبت في الحلبة الدولية على مدار النصف الثاني من القرن العشرين والعقد الأول من القرن الحادي والعشرين، دون أدني اعتبار لمواد القانون الجنائي الدولي ودون أية مراعاة لمبادئ ميثاق الأمم المتحدة الخاصة بحقوق الإنسان الأساسية. وبعبارة أخرى، لم تكن الاتفاقية عائقاً أمام ارتكاب جريمة" إبادة الجنس"، ولذا يجب ان تعد الاتفاقية نقطة انطلاق فقط من أجل تبنى إجراءات وآليات دولية فعالة على درب منع إبادة الجنس والعقاب عليها حتى بعد أن أكملت عامها الخمسة وسبعين "!.

حوار مع السيدة/ بولا يعقوبيان عضو مجلس النواب اللبناني



أجرى الحوار: عطا درغام

كنائبــة في البرلمــان اللبنــاني تُعـرف بمواقفهــا المعارضـة "الشرسـة" لكـل المنظومـة السياسـية، رافعـة لـواء حقـوق المواطنين وحقوق المرأة ومواجهة ما تسمّيهم "المافيات". وما حققته وتحققه بولا وفريق عملها الجبار، يختصر الكثير مـن المعـاني ، والقـيم والسـمو والحـب، والشـعور بحاجـة الآخرين، إنها حقيقة ساطعة كالشمس، في ظل الضبابية السائدة.

و" بـولا يعقوبيـان" هـي السيدة الوحيـدة بـين النـواب التي اتخذت قرار الاستقالة إثر انفجار مرفأ بيروت في الرابع من أغسطس ٢٠٢٠، لتكمل معركتها إلى جانب الانتفاضة الشعبية ومطالبهـا وضـمن مجموعـات المجتمـع المـدني سعيًا إلى تحقيق التغيير.

ولـدت بـولا يعقوبيـان في الرابـع مـن أبريـل عـام ١٩٧٦ في بـيروت، وبـدأت حياتهـا المهنيـة في سـن ١٧ عـام، وعملــت في محطــة ICN اللبنانيــة في قســم الأخبــار، ثم عملت سكرتيرة التحرير في الأخبار الإقليمية والدولية في القنـاة نفسـها، كمـا قـدمت في الوقـت عينـه برنامجًـا سياسيًا تحت مُسمى السلطة.

وفي ١٩٩٨ انتقلت بولا يعقوبيان إلي قناة "إل بي سي"، وكانت تقدم البرنامج الصباحي السياسي "نهاركم سعيد"، و عملت في "إم تي في" اللبنانية وشبكة ART، وقدمت العديــد مــن الــبرامج علــى غــرار " ضــد التيــار" و "لقاء من أمريكا"، قبل أن تنتقل للعمل في قناة الحرة، وأخيرًا استقرت في قناة المستقبل.



وبالإضافة إلى خوض حياة مهنية ناشطة ومزدهرة في الإعلام، حيث قابلت زعماء سياسيين من العالم مثل جورج بوش الابن، ومشاهير وشخصيات بارزة من مختلف المجالات، السياسية، الاقتصادية، الاجتماعية، الفنية. وفي ٢٠١٨ أعلنت بولا يعقوبيان انسحابها من قناة المستقبل وقررت الترشح في الانتخابات التشريعية اللبنانية مع حزب ‘‘كلنا وطني’’ وفازت بمقعد لها في بيروت.

ويُسعد مجلة "أريك " أن تقدم لقُرائها حواراً عن مسيرتها المهنية والإعلامية، ومشوارها السياسي كنائبة في البرلمان اللبناني.

–أيهما أقرب إليك، بولا يعقوبيان الإعلامية أم بولا النائبة ولماذا؟

• وأمورهم والدفاع عنهم مثلما أفعل الآن كممثّلة عن الأمّة، مع أنّني كنت على اضطلاع على كل ما يجري من خلال عملي في الصحافة لمدّة ٢٥ عاماً.

لمـاذا الإصـرار علـى العمـل السياسـي والترشـح للانتخابات البرلمانية؟

• بوجود نفس السياسات المجحفة على مدار ٣٠ عاماً ، ومن خلال عملي في الإعلام خلال ٢٥ عاماً، كنت أحاور السياسيّين وأتابع المشاريع والقوانين، ولم أحصل يوماً على جوابٍ شافٍ. لذا، قرّرت خوض الانتخابات النيابيّة إلى جانب المعارضة الحقيقيّة ومعركتنا اليوم من أصعب المعارك. دعمت الشباب الذين يشبهونني بتطلّعاتهم نحو بلد يريدونه خال من الفساد والمحسوبيّة. المعركة صعبة وطويلة وسأستمرّ في النضال.

أيهما أكثر تأثيرًا في المجتمع الإعلامي أم السياسي؟ ولماذا؟

إنّ تأثير الإعلام في المجتمع لكبير، والسلطة الرابعة تبلور الرأي العامّ، مشكلتنا في لبنان في بعض الإعلاميّين غير المهنين الذين يلعبون دور سيء ضد مصالح الشعب والوطن. أمّا السياسة في لبنان فهي منذ عقود تسير بنفس النمط انزلقت بالوطن إلى مستنقع آل بها إلى الانهيار ونحن اليوم نرى النتائج، إذ وصلنا الى دولة مهترئة تفتقد إلى أدنى مقوّمات العيش الكريم.

بعض الإعلام يحاول إصلاح ما يمكن إصلاحه والإضاءة على الأمور، ومثال على ذلك الصحافة الاستقصائية، لكن السياسيّين والأحزاب في مكان آخر.

ماذا عن حملة (دفى) وما الغرض منها، والأنشطة التي قامت بها؟..وهل ستستمر في عملها رغم الأزمة في لبنان؟

• حملة (دفى) إلى جانب الناس منذ حواليّ عشرة أعوام، كانت حملة سنويّة، ولكن في عام ٢٠١٩، عندما اندلعت الحرائق في لبنان، بدأنا بالعمل اليوميّ وزاد المتطوّعون، وبدأنا بالمساعدات ثم توالت الكوارث، من ارتفاع سعر الدولار إلى انهيار النظام المصرفي وإغلاق المصارف، ثمّ كورونا وصولًا إلى انفجار المرفأ الذي كان الجريمة الأفظع بحقّ اللبنانيّين. وعن سؤالك إن كنّا سنستمرّ بالمساعدة من خلال حملة (دفى)، أتمنّى ذلك، أتمنّى أن نستطيع الاستمرار رغم الصعوبات ونبقى إلى جانب الناس. خصوصًا أنّ الدولة غير قادرة، كيف لنا أن نترك الناس، ونحن ندرك أنّ هناك عائلات بحاجة ماسّة للمساعدة؟.!

سبق أن صرحتِ لإحدى الصحف بأن الثقافة النسوية لم تدخل لبنان،ولا يوجد في ساحتنا نوال السعداوي، ماذا يعني هذا التصريح؟

•لا شكّ أنّ هناك سيّدات مناضلات في لبنان، والأمر يتحسّن يوماً بعد يوم، ونحن بحاجة إلى المزيد من الوعي في هذا الموضوع. ولكنّ العمل الأساسيّ يكمن في تطوير القوانين.

– هل تكفي القوانين اللبنانية أن توفر الحماية للمرأة في لبنان؟

• عندما لا يكون القضاء مستقلّاً هناك صعوبة في الوصول إلى العدالة، ليس فقط للنساء بل لكلّ المواطنين، لذلك ما زلت أناضل لإقرار قانون استقلاليّة القضاء الذي ما زال في الأدراج. وإضافة إلى القوانين يجب أن تتغيّر العقليّة والنظرة إلى المرأة، فالإنسانيّة هي الأساس للوصول إلى العدالة.

لماذا تُعدّ الكوتة النسوية لصالح المرأة على الرغم من أن فيها تمييزًا للمرأة؟

• في كلّ البلدان المتطوّرة في العالم اعتمدت الكوتة كإجراء مؤقّت لإصلاح الظلم الذي لحق بالمرأة خلال سنوات عديدة، عندما كانت الفتاة تُحرم من التعليم وعندما كانت طريقة المعاملة تختلف بين الصبيّ والبنت. بدون الكوتة الفرص ضعيفة أمام المرأة للوصول إلى مناصب القرار. نحن لا نطالب بكوتا نسائيّة بل بكوتة جندريّة كإجراء مؤقّت إلى حين الوصول إلى المساواة بين الرجل والمرأة.

كسيدة ومعارضة تتعاطي الشأن العام في لبنان ..ما الصعاب التي تواجهينها في ظل الهيمنة الذكورية على القرار؟

•المشكلة الأساس في هذا الموضوع هي عدم مواجهتي بالسياسة كنائبة معارضة، وإنّما جلّ ما يستطيعون فعله هو التطرّق إلى الأمور الشخصيّة، وهذا دون شك ضعف وجهل.

ماذا قدّم البرلمان اللبنانيّ للأرمن؟ وماذا قدم النواب الأرمن للبنان؟

•قدّم الشعب الأرمنيّ الكثير للبنان ،والعكس صحيح. نحن لبنانيّون من أصول أرمنيّة، لبنان هو بلدنا النهائيّ. لا أحبّذ الفرز، نحن شعب واحد، أنا نائبة عن الأمّة اللبنانيّة ،ولكنّ القانون الانتخابيّ يجبرنا أن نترشّح حسب المقاعد الموزّعة طائفياً. وكلّ عملي البرلمانيّ هو لصالح الشعب اللبنانيّ دون تمييز.

ما السر الذي جعل من لبنان موطنًا لجأ إليه الأرمن؟

• منذ القدم، كان وسيبقى لبنان ملجأً لكل المضطهدين ،ولذلك سُميّ بالبلد الملجأ. ولبنان أحد البلدان الكثيرة التي استقبلت الأرمن وأعطاهم فرصًا لحياة كريمة. وما ميّز لبنان عن غيره من البلدان حرّيّة التعبير وحرّيّة المعتقد، والتي للأسف بدأ التضييق عليها في المرحلة الأخيرة لتغطية عجز هذه السلطة في تقديم أي انجاز.

كيف أثرت الحرب الأهليّة في لبنان على الوجود الأرمني في لبنان؟

• هاجر عدد كبير من الأرمن إلى الخارج خلال الحرب الأهليّة وبعدها، وللأسف إنّ الأرمن هم الفئة الوحيدة التي تتراجع عددياًّ كلّ سنة على لوائح الشطب.

بم تفسرين كثرة النواب الأرمن في البرلمان اللبناني.. وكذا وجود وزراء أرمن؟

• عدد النوّاب يحدّده عدد المقترعين لكلّ طائفة. كما قلت لك سابقاً لبنان بلد مقسّم طائفيّاً ، وذلك يحتّم إعطاء حصّة وزاريّة لكلّ طائفة على أمل أن نصل إلى إلغاء الطائفيّة السياسيّة ونصبح شعباً واحداً.



ماذا تعنين بقولك:" ما زالت الإبادة مستمرة حتي اليوم؛لأننا نعتبر أنه كلما مرت فترة زمنية وأضاع أي أرمني هويته فهذه إبادة بحق الشعب الأرمني الذي سلخ عن أرضه"..؟

•مثال على ذلك ما يحصل اليوم في آرتساخ؛ فهذا امتداد للمجزرة، وقد يكون أسوأ لأن من المعيب في القرن الواحد والعشرين أن يبقى الظلم يطال فئات كثيرة في العالم. المجاعة وإقفال الحدود ومنع وصول أيّ مساعدات للأرمن في آرتساخ والتهجير من قبل الحكومة الآذرية؛ لهو وصمة عار على جبين المجتمع الدوليّ

لماذا عُرف عن الأرمن في لبنان خلال كل العهود الرئاسية دعم رؤساء الجمهورية المتعاقبين؟

•خسر أرمن لبنان وطناً وظُلموا وهُجّروا وقُتلوا، ربّما ذلك جعلهم يبحثون عن الأمان من خلال الوقوف دائماً إلى جانب الشرعيّة. ولكن ذلك لا يبرّر الوقوف مع الفاسد، ولو كان الأقوى. المطلوب هو الوقوف إلى جانب الحقّ ضدّ الظلم.

اليوم أصبح الوضع مختلفًا والسلطة الموجودة حاليًا في لبنان قد هرمت مما أدى لسوء الأوضاع السياسية، وهناك أصوات معارضة أكان لرئاسة الجمهورية أو للحكومة أو الأحزاب الحاكمة في لبنان، وهناك حالة من عدم الرضا بين المجتمع اللبناني.

لمـــاذا للأرمـــن أحـــزابهم الخاصـــة ممثلـــة في: (الرامجاڤـار و الهنشـاك و الطاشـناق) بعيـدًا عـن الانخراط في الأحزاب اللبنانية الأخرى؟

هـذه الأحـزاب أتـت مـع الشـعب الأرمـنيّ سـنة ١٩١٥، خـلال المجـازر الـتي حصـلت بحـقّ الأرمـن. هـي أحـزاب عريقـة، ولهـا نضـالها بغـضّ النظـر عمـن يمثّلهـا اليـوم في لبنـان. لكـن لا شـك أنّ هنـاك الكثير من الشباب الأرمن الذين انخرطوا في أحزاب أخرى.

واليـوم هنـاك أرمـن منخرطـون بأحـزاب غـير الأحـزاب الأرمنيـــة التقليديـــة. هـــذا الأمـــر في البدايـــة، فمـــن الطبيعـي أن الأرمـن أتـوا كمجموعـة وعاشـوا تقريبًـا في شـبه "جيتـو" ..طبيعـي أن يُعيـدوا خلـق "أرمينيـة" أخـري في هـذه الـبلاد، إلا أنهـم بعـد سـنوات طويلـة علـي وجـودهم في لبنـان أصـبحوا جـزءًا مـن النسـيج اللبناني بشكل كامل.

ما دور الأحزاب الأرمنية في الاعتراف اللبناني بالإبادة الأرمنية..؟

• لا شـك أن الأحـزاب الأرمنيـة لعبـت دورًا كبـيرًا في الاعـــتراف بالإبادة الأرمنيـــة، ولكـــن أيضًـــا المجتمـــع الأرمـني وكثـير مـن الأحـزاب غـير الأرمنية دعمـت هـذا المطلـب وكانـت تصـر عليـه، ولـذلك كانـت لبنـان مـن أوائـل الـدول الـتي اعترفـت بالإبادة الأرمنيـة، وهـذا الموضـوع لم يكـن خلافيًـا في لبنـان ولكـن كـان عليـه شبه إجماع.

لمـاذا التزمـت الأحـزاب الأرمنيـة الحيـاد فـترة الحـرب الأهلية رغم الخلافات السياسية..؟

أعتقـد أن التـزام الأحـزاب الأرمنيـة الحيـاد فـترة الحـرب الأهلية هـو من أهـم القـرارات الـتي اتُخذت يومهـا، وهـذا مؤشر لحكمة ودراية من كان مسئولًا عن هذه الأحزاب، اتخذ موقفًا صائبًا وموقفًا عقلانيًا في أتون الحرب؛ فحمي مناطق الأرمن.

اليوم القيادات الأرمنية في مكان آخر ومن قماشة مختلفة. كم نتوق لهؤلاء الذين حملوا هذه الأحزاب في قلبهم وفي روحهم، وعملوا لمصلحة الأرمن لمصلحة اللبنانيين.

وللأسـف- اليوم- الأجنـدات السياسية والمصالح الفئوية والشخصية هي التي تتحكم في قيادة هذه الأحزاب، بدلًا من أن تكـون قيـادة تضـع هـذه المصلحة المشتركة للأرمـن وللبنانيين من أصول أرمنية قبل أي شيء، تضع الأهواء الشخصية في الواجهة.



الحاج خليل والتاريخ



بقلم: كيفوك أوهانيس
كاتب ومترجم

"أيها الأخوة الأتراك أمد إليكم يد المحبة والسلام، اليوم وكل يوم، وأسألكم أن تتذكروا أنه في الوقت الذي كانت فيه بلادكم تُقاد من قبل عصابة قتلة، فإنكم امتلكتم أيضاً الكثيرين من أمثال الحاج خليل، وإنه سيكون عرفاناً بالجميل لهذا الأخير أن نعترف بالحقيقة الساطعة لوقوع تلك المذبحة، وأن نعبر عن أسفنا، لكي نستطيع البدء بعلاج شعبينا، فبدون ذلك سيسهل على الآخرين استخدامها كأداة سياسية مهيمنة تتحكم بمستقبلنا. فإذا لم يفعل الأرمن وكل ضحايا المذبحة ما باستطاعتهم لمواصلة المعركة ضد المذبحة فإنهم سيفشلون في تحمل مسؤولياتهم اتجاه الأجيال القادمة."

هذا جزء من كلمة السيد كوركين سركسيان من معهد زوريان ضمن فعاليات مؤتمر (مشاكل الإبادة) بمناسبة مرور ٨٠ سنة على مذبحة الأرمن، حيث روى من خلالها قصة عائلة جده الذي كان شريكاً لرجل الأعمال التركي الحاج خليل في مدينة أورفة قبل وقوع تلك الأحداث المؤلمة.

The Zoryan Institute

لقد كان هذا الخليل النبيل قد أقسم لشريكه الأرمني أنه سيحافظ على عائلته في حال تعرض هذا الأخير لأي مكروه.

ورغم أن حجم المصيبة قد فاق كل تصور وتوقع، فقد أوفى بوعده وتحمل كل المخاطر.

قام الحاج خليل بإخفاء عائلة شريكه، الذي قُتل في المذبحة، المكونة من ثمانية أشخاص، وآواهم في الطابق العلوي من داره متحملاً كافة العواقب الوخيمة التي كان أخفّها أن يُعلق أمام منزله ويُحرق داره إذا ما تم اكتشاف أمره.

اهتم الحاج خليل بهذه العائلة قرابة السنة في أصعب وأحلك الظروف وفي غاية السرية والكتمان حتى عن أهل بيته، موفراً لهم كل وسائل العيش من مأكل ومسكن ومشرب، التي كان الحصول عليها في تلك الظروف مهمة عسيرة وخطيرة بنفس الوقت.

وقد وصل به الأمر إلى درجة أنه كان يرسل عائلته وخدمه يوما كاملاً خارج المنزل كل أسبوع لكي تتمكن العائلة الأرمنية من الاستحمام. ورغم انكشاف سره أمام أسرته وخدمه الأمر الذي زاد من حجم الخطورة ، إلا أن ذلك لم يثنه عن متابعة مهمته الإنسانية في حماية عائلة شريكه وصيانة عهد الأخوة مهما كانت العواقب. وعندما توفي أثنان من هذه العائلة، جازف بحياته وقام بمراسم الدفن على أكمل وجه.

لا أحد يستطيع أن يُنكر أن التاريخ مليء بالمآسي والفجائع أكثر بكثير من احتوائه على أحداث مفرحة ، كما أنه لا يمكن لأحد أن يبسطه، لكن يُمكننا دائمًا قراءته بطريقة مختلفة نتغلب بها على عجزنا بتغييره وبنفس الوقت نفوّت على الآخرين فرصة استغلال عواطفنا لخدمة أجنداتهم السياسية وبالتالي زرع الأحقاد والكراهية بدل البحث عن حلول وعلاجات وضمادات.

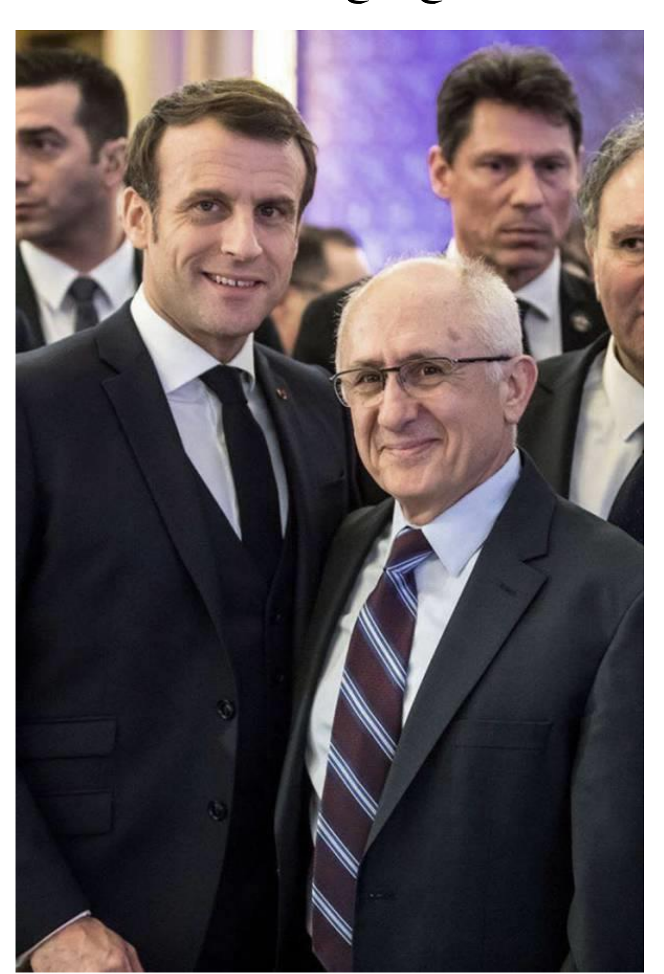
القراءة المختلفة ضرورية أيضاً لأن فيها إنصاف لأمثال الحاج خليل الذين بأعمالهم الإنسانية والبطولية يغسلون أرواحنا من الكراهية والانتقام.

إنه ذلك الإرث الإنساني للحاج خليل وشجاعة كوركين هذه على شكر التركي من قلبه على انسانيته وفي ندوة عامة، هما اللذان ألهما البروفسور التركي تنار أكجام لتكريس حياته في البحث عن حقيقة ما حدث وإيصالها إلى الشعب التركي ودعوته له إلى النظر في معاناة "الآخرين" التي تمت باسمه. يقول أكجام في كتابه " الفعل المشين ، الابادة الأرمنية و مسألة المسؤولية التركية" الذي أهداه لروح الحاج خليل النبيل:

لمنع تكرار وقوع مآسي مشابه، يجب على الناس أولاً النظر في مسؤولياتهم ومناقشتها والاعتراف بها؛ في ظل " غياب مراجعة صادقة كهذه، يبقى احتمال تكرارها كبيراً نظراً لامتلاك كل جماعة بطبيعتها القدرة على ممارسة العنف بمجرد توافر الشروط المناسبة التي تحول هذه القدرة بسهولة إلى فعل حقيقي تحت أبسط الذرائع؛ يحتاج كل مجتمع إتباع نهج النقد الذاتي القائم على العمل المؤسساتي كنوع من التراث الأخلاقي للمجتمع بغض النظر عما قد فعله الآخرون به. بهذه الطريقة يتم منع تكرار موجات العنف".

شمعتان أُشعلتا في نفس المكان و الزمان، واحدة من قبل سركسيان لذكرى إنسانية الحاج خليل والثانية من قبل أكجام لروح ضحايا الإبادة. وتعاهدا على نشر هذا الإرث الإنساني.

الخلود و الرحمة لروح الحاج خليل و أمثاله ...



كنوز مصرية يجب ألا تهدر



بقلم: جاكلين جرجس

لا يخفى على أى مصرى مستنير أن الحاجة لزيادة البحوث العلمية تزداد يومًا بعد يوم لدعم الاقتصاد المعرفي الذى يسهل التعلم و يدفع بعجلة التطوير ويزيد الوعي، إما عن طريق تصحيح المفاهيم أو بإثبات النظريات أو بتقديم الاكتشافات الجديدة في شتّى المجالات العلمية توفيرًا لظروف أفضل لحياة الإنسان، لذلك نجد أن الحكومة المصرية وضعت خطط جديدة للارتقاء بالبحث العلمي، فحصلت ١٩ جامعة مصرية فى عام ٢٠١٨ على مراكز متقدمة ضمن تصنيف التايمز البريطانى من بين أفضل ١٢٠٠ جامعة ، بعد أن كان عددها ٩ جامعات فقط، مما يؤكد على حرص الدولة على إطلاق المبادرات التي من شأنها تطوير المنظومة البحثية، لدعم الصناعة المصرية وتطويرها، وتنميتها بما يعود بالنفع على الاقتصاد الوطني والمجتمع ككل؛ لتحقيق أهداف التنمية المستدامة ورؤية مصر ٢٠٣٠.

لذلك على الدولة المصرية أن تدرك أهمية العلم كمخرج وحيد للنهوض بالبلاد فى شتى المجالات، وبالتالي يتحتم عليها الاهتمام بالمنظومة العلمية فى مصر والاستفادة من العقول المصرية المتميزة لتكون عناصر أساسية لتحقيق نهضة علمية ضرورية فى عالم متسارع الخطى، يؤكد أن البحث العلمي هو السبيل الأمثل لأى أمة تريد أن تتقدم وتلحق بركب الدول المتقدمة، وتمتلك مصر ثروة بشرية هائلة من العلماء المصريين فى الخارج يمكن أن يكوّنوا نواة لثورة علمية فاعلة، وتضع مصر فى



يمكن أن يكوّنوا نواة لثورة علمية فاعلة، وتضع مصر فى مكانها اللائق، حيث إن علماء مصر فى الخارج يشكلون ركائز علمية فى العديد من دول العالم الغربي خاصةً كندا، والولايات المتحدة، وألمانيا.

و هو كان الهدف الرئيسي لنشأة و تدشين رابطة العلماء المصريين بأمريكا و كندا، و يتم دمج علماء الخارج بالدارسين فى الداخل للاستفادة من خبراتهم و هو ما أكد عليه د . محمد عطا الله حين قال أن الهدف الرئيسي للرابطة هو خلق نوع من الألية التى تسمح باستمرار تبادل الخبرات العلمية و التنمية بين العلماء حيث تم تأسيسها منذ عام ١٩٧٣ بمبادرة من الرئيس السادات وهو أول من نظم مؤتمر للمغتربين بالخارج و كانت سعادة غامرة للكيانات فى أوروبا و فى أمريكا الشمالية، و كان اسمها رابطة العلماء المصريين لأمريكا و كندا، والتى أسسها أ. د . محمد الوكيل رحمة الله عليه

أستاذ الهندسة النووية بجامعة ويسكانسن ، وهو الرئيس الأول للرابطة و منذ هذا التاريخ تعقد المؤسسة مؤتمر سنوي فى الولايات المتحدة و كندا أو فى مصر ومن خلال هذه المنظومة يتم تبادل الآراء والأفكار الهندسية والعلمية بين علماء المصريين بالداخل و زملائهم بأمريكا و كندا.

طبقًا لبيانات "اتحاد المصريين فى الخارج" فإن تعداد علماء وأكاديميي مصر المقيمين فى الخارج يبلغ حوالى ٨٦ ألف عالم وأكاديمي، منهم ١٨٨٣ فى تخصصات نووية نادرة، كما يضمون ٤٢ رئيس جامعة حول العالم، إضافة إلى وزير بحث علمي فى كندا، و٣ أعضاء فى مجلس الطاقة الإنمائي، وهذا ما يؤكد أن مصر ما زالت قادرة على إفراز مبدعين وعلماء تستفيد منهم البشرية، حتى حرصت العديد من الدول الأجنبية أن تمنح جنسياتها لهؤلاء العلماء المصريين؛ تكريمًا لجهودهم وللاستفادة من خبراتهم العالمية، وقد اعتمد الاتحاد العام للمصريين بشأن تلك الإحصائيات على مركز الاتحاد والإحصاء التابع للأمم المتحدة، وبعض المراكز البحثية فى أوروبا، وأمريكا، وروابط العلماء، ورؤساء الجاليات الإسلامية فى الخارج، حيث إن هناك ١٢٥٠ عالمًا فى التخصصات النادرة نسبيًا مثل الهندسة الوراثية، وفيزياء الفضاء، والفيزياء الطبيعية، والكيمياء الطبيعية، والنانو، والهندسة الوراثية، والاقتصاد، والرياضيات وغيرها من التخصصات النادرة، كما أن أمريكا لديها الجزء الأكبر منهم.

و مما يدل على نبوغ العلماء المصريين فى كل مجال علمي حين تتوفر لهم الظروف المواتية التى تساهم فى إظهار نبوغهم وتفوقهم، حيث أظهر مؤشر " SCOPUS " الدولي، والذى يصنف علماء العالم طبقًا لضوابط وشروط معينة، هو دخول عشرة علماء مصريين وسط أهم ٩٠٩ علماء على مستوى العالم، طبقًا لثلاثة مستويات وتصنيفات عالمية وهى "H-index "، و"index -i١٠"، و"Scopus"، وهي أجندات دولية لتصنيف العلماء والباحثين والمتخصصين فى مجال العلوم والبحث العلمي طبقًا لما يقدمونه فى مجال العلم، وهؤلاء العلماء العشرة هم دكتور مصطفى السيد، والدكتور مجدى يعقوب، والدكتور أحمد زويل، والدكتور محمد النشائى، والدكتور فاروق الباز، والدكتور عصام حجى، والدكتورة فينيس كامل جودة، والدكتور كمال رمزى استينو، والدكتور محمد غنيم، والدكتورة نادية إسكندر زخاري.

إلى جانب علماء مصر المشهورين، هناك عدد من العلماء المصريين المبدعين بالخارج لم يتطرق إليهم الإعلام المصرى، ولم يسلط الضوء على أى منهم رغم إبداعاتهم المصرية الكبيرة فى دول العالم الخارجي، والتى منحت لهم الجنسية؛ نتيجة لمجهوداتهم الكبيرة فى أعمالهم.

و نلقى نظرة سريعة عن مجهودات علماؤنا بالخارج و ما انتجوه من علم و تطور فعندنا على سبيل المثال لا الحصر: الدكتور عادل محمود عالم مصرى الذى نعاه «بيل جيتس» بقوله "إن العالم فقد واحدًا من أعظم مطوري اللقاحات."

قضى حياته فى تطوير لقاحات أنقذت حياة مئات الملايين حول العالم، فقد أثنى مؤسس شركة مايكروسوفت وأغنى أغنياء العالم، بيل جيتس، وقد وُلد عادل محمود فى القاهرة عام ١٩٤١، وواجه فى صغره أول وأهم موقف فى حياته تجاه الأمراض، عندما ذهب إلى صيدلية وهو فى العاشرة من عمره لجلب عقار البنسلين لوالده الذى كان يحتضر بسبب الالتهاب الرئوي، لكنه لم يعُد فى الوقت المناسب ، وتشمل مساهمات الدكتور محمود الرئيسية فى العلوم والصحة العامة، دراسة أمراض المناطق المدارية المهملة، وخاصة العدوى الطفيلية وعمل رئيسًا لمركز اللقاحات فى شركة ميرك من عام ١٩٩٨ حتى عام ٢٠٠٦،كما أشرف على

إنتاج وتسويق العديد من اللقاحات التى حققت تقدمًا كبيرًا فى الصحة العامة، ومن ضمنها لقاح يمنع عدوى فيروس "الروتا" القاتل الذى يسبب الإسهال عند الرضع، كما طور لقاحًا يحمى ضد فيروس الورم الحليمى البشرى (HPV)، والذى يسبب سرطان عنق الرحم، والشرج، والأعضاء التناسلية والحلق، كما ساعد الدكتور محمود فى تطوير لقاح مضاد للحصبة وحُمى النكاف والحصبة الألمانية وجدري الماء، والوقاية من القوباء المنطقية.

المهندس هاني عازر – مطور سكك حديد ألمانيا

يعتبر من أهم العلماء المصريين بالخارج، وهو عضو الفريق الاستشاري للرئيس السيسي، وُولد عازر عام ١٩٤٨ فى طنطا وتوجه للقاهرة لدراسة الثانوية والجامعة، بعد تخرجه من كلية الهندسة بجامعة عين شمس، سافر إلى ألمانيا عام ١٩٧٣ ليدرس الهندسة المدنية فى ألمانيا.

كان لـ "عازر" الريادة فى تنفيذ مشروع تطوير محطات سكك حديد برلين، بعد أن فشل المهندسون الألمان فى تنفيذها، ومواجهة مشاكل التربة التى واجهوها على مدى ٧ سنوات حتى تسلم هو قيادة المشروع عام ٢٠٠١، يكفى أن نعلم أنه حوّل مجرى نهر سبراي الذى يمر فى قلب برلين ٧٠ مترًا، وحفر الأنفاق تحته ثم أعاد النهر لمجراه الأول دون أن تتأثر حركة النهر، ليس هذا فحسب، بل إنه قام ببناء برج إداري فى المحطة بطول ٧٠ مترًا بشكل رأسي ثم قلبه أفقيًا، ليمر بالعرض فوق خط القطارات الرابط بين شرق وغرب ألمانية ، كرّمته المستشارة الألمانية أنجيلا ميركل فى ٢٦ مايو ٢٠٠٦ فى افتتاح محطة برلين للقطارات لمجهوده وخدمة الدولة الألمانية بوسام الجمهورية الألمانية وساهم "عازر" بشكل كبير فى مشروع قناة السويس الجديدة فى تخصصه وهو بناء الأنفاق، ويشغل منصب عضو المجلس الاستشاري التابع لرئاسة الجمهورية.

محمد العريان: خبير اقتصادي عالمي

ويُعد أول مصرى يحصل على منصب رئيس مجلس التنمية العالمي التابع للبيت الأبيض بالولايات المتحدة الأمريكية، وُولد العريان فى عام ١٩٥٨ فى القاهرة، وحصل على شهادته الجامعية من "كامبردج"، ويشغل الآن منصب عضو المجلس الاستشاري لعلماء مصر التابع لرئاسة الجمهورية وقد حصل "العريان" على شهادته الجامعية فى الاقتصاد من جامعة كامبريدج، ثم حصل على شهادتى الماجستير والدكتوراه فى الاقتصاد من جامعة أكسفورد فى المملكة المتحدة.

وقد شغل "العريان" منصب الرئيس التنفيذى فى مؤسسة بيمكو الاستثمارية العالمية التى تعتبر من أكبر شركات إدارة الأصول فى العالم وتدير أصولًا تزيد قيمتها على ١١٠٠ مليار دولار أمريكي، وذلك منذ عودته إليها فى يناير ٢٠٠٨ بعد أن عمل لمدة عامين رئيسًا تنفيذيًا فى وقف جامعة هارفارد الذى يتولى إدارة صندوق المنح الجامعية والحسابات التابعة لها، ورغم أنه لم يطُل مكوثه هناك، فإنه خلال سنة مالية كاملة من قيادته استطاع الصندوق أن يحقق عائدًا نسبته ٢٣٪ هو الأعلى فى تاريخ الجامعة وقد عمل "العريان" لمدة ١٥ عامًا لدى صندوق النقد الدولى فى واشنطن قبل تحوله للعمل فى القطاع الخاص، حيث عمل مديرًا تنفيذيًا فى سالمون سميث بارنى التابعة لسيتي جروب فى لندن، وفى عام ١٩٩٩ انضم إلى مؤسسة بيمكو الاستثمارية العالمية ، وقد نال "العريان" فى عام ٢٠٠٨ جائزة عالمية عن كتابه "عندما تتصادم الأسواق" واستقال من منصبه مديرًا تنفيذيًا ومديرًا مشاركًا للاستثمار لبيمكو فى ٢١ يناير ٢٠١٤، وقد عينه الرئيس الأمريكى السابق أوباما رئيسًا لمجلس الرئيس للتنمية العالمية فى ديسمبر ٢٠١٢، لتقوية دعائم الاقتصاد الأمريكى.

كريم رشيد: أشهر مصممي العالم

المهندس "كريم رشيد"، وهو من أشهر المصممين الصناعيين فى كندا والعالم، وحصل على بكالوريوس فى التصميم الصناعي من جامعة كارلتون فى أوتاوا بكندا فى عام ١٩٨٢، وأنهى الدراسات العليا فى إيطاليا، وله أكثر من ٢٠٠٠ تصميم، بما فى ذلك المشاريع التى تتضمن التصميم الداخلي، والأزياء، والأثاث، والإنارة، والفن، والموسيقى والمنشآت المعمارية، وتعرض أعماله بشكل دائم فى أشهر أربعة عشر متحف فى العالم، بما فيها متحف الفن الحديث فى نيويورك وسان فرانسيسكو، ودرّس التصميم الصناعي لمدة ١٠ سنوات، ويلقى الآن محاضرات فى جامعات ومؤتمرات على الصعيد العالمي فى العمارة والتصميم.

محمد عبده: ملك الفيزياء بالخارج (أينشتاين العرب)

وهو أستاذ الفيزياء المتخصص فى الاندماج النووي وعالم متميز فى مجالي الهندسة والعلوم التطبيقية بجامعة كاليفورنيا، وهو مدير مركز الأبحاث المتقدمة لعلوم الطاقة والتكنولوجيا، كما أنه مدير لمركز علم وتكنولوجيا الاندماج النووي، ورئيس لمجلس بحوث الطاقة فى الولايات المتحدة، وفى عام ٢٠١٠ تم منحه جائزة آينشتاين الدولية، وهى من أرفع الجوائز الدولية، تقديرًا لجهوده العلمية فى مجال الفيزياء، ويُعتبر من أشهر الأكاديميين العالميين فى مجال الاندماج النووي.

د. هاني النقراشي: من أكبر خبراء الطاقة فى العالم

من أهم علماء مصر، الدكتور هاني محمود فهمى النقراشي، نجل رئيس الوزراء الراحل، محمود فهمى النقراشي، وعضو المجلس الاستشاري للرئيس عبد الفتاح السيسي، وهو عضو الفريق البحثي لمركز شئون الفضاء والطيران الألماني واستشاري الطاقة المتجددة وخاصة الشمسية الحرارية وربطها عضويًا بتحلية مياه البحر ، وقد وُلد هاني النقراشي بالقاهرة عام ١٩٣٥، وحصل على بكالوريوس الهندسة الميكانيكية من جامعة القاهرة ١٩٥٨، وماجستير من جامعة دارمشتاد الهندسية بألمانيا ١٩٦٣، ودكتوراه من جامعة دارمشتاد الهندسية بألمانيا ١٩٦٨. و"النقراشى" عضو الفريق البحثي لمركز شئون الفضاء والطيران الألماني " DLR" للدراسات الخاصة بالطاقة الشمسية وتحلية مياه البحر حول حوض البحر الأبيض المتوسط (٢٠٠٤ – ٢٠٠٧)، وعضو فريق الطاقة المتجددة فى عام العلم والتكنولوجيا المصرى الألماني (٢٠٠٧)، وهو رئيس مجلس الإشراف للمجلس الأعلى للجاليات المصرية فى ألمانيا، وعضو مجلس الإشراف ورئيس مجلس الأمناء لمؤسسة تقنية الصحراء "ديزرتك DESERTEC "، عضو جمعية العلماء الألمانية فى برلين.VDW

الدكتورة هدى المراغي: أول عميدة لهندسة كندا

تعتبر الدكتورة هدى المراغي – أول امرأة تعمل عميدًا بكلية هندسة فى كندا – وقد عملت أستاذًا ومدير مركز نظم التصنيع الذكية بكلية الهندسة بجامعة ويندسور، وقد حصلت على شهادة الدكتوراه الفخرية من السويد وعملت مستشار الصناعات والحكومات فى كندا، وتعتبر أبحاثها الرائدة فى التصنيع المرن يساعد على الإنتاجية، وقد أشرفت على ١٠٠ مشاريع بحثية ونشرت ٤٥٠ ورقة علمية.

الدكتور أمجد شكر: رائد النووي المصرى

من أهم العلماء المصريين فى الخارج هو الدكتور أمجد شكر، رئيس قسم أمان مفاعلات البحوث، مدير برنامج أمان مفاعلات البحوث ومنشآت دورة الوقود النووي بالوكالة الدولية للطاقة الذرية، وهو أستاذ الهندسة النووية بهيئة الطاقة الذرية المصرية، وقد شارك فى التصميمات النووية وإنشاءات مفاعل مصر البحثي الثانى، وكان أول مدير لهذا المفاعل، وطور ونشر "شكر" ٢٨ إصدارًا من إصدارات الوكالة الدولية للطاقة الذرية فى مجالات

مفاعلات البحوث ومنشآت دورة الوقود النووي، ورأس أيضًا فريق مراجعة أمان مفاعلات البحوث بالوكالة الدولية للطاقة الذرية في أكثر من ٣٠ دولة حول العالم.

المهندس أحمد رياض: يُؤسس أول بوابة إلكترونية باللغة العربية يعتبر المهندس أحمد رياض، رائد استمرارية الأعمال والتعافي من الكوارث، ومؤسس أكاديمية استمرارية، والمدير التنفيذي لشركة استمرارية للاستشارات الإدارية، وهو رائد من رواد استمرارية الأعمال وإدارة الأزمات والكوارث على مستوى العالم مع أكثر من ١٤ من ذوى الخبرة فى هذه المجالات إقليميًا ودوليًا. وقد أسس أول بوابة إلكترونية باللغة العربية لاستمرارية الأعمال وإدارة الأزمات والكوارث مجانًا؛ وذلك لنشر الوعى داخل الوطن العربى للمجتمع والأفراد والمؤسسات.

ليس هؤلاء فقط أنما أيضًا لدينا ما يقرب من ٤٢ عالما مصريًا بالخارج فى وظيفة رئيس جامعة، إلى جانب وزير بحث علمي فى دولة كندا مصرى الجنسية، إلى جانب وجود ثلاثة مصريين أعضاء فى مجلس الطاقة الإنمائي، الذى يتكون من ١٦ عضوًا، وكذلك يوجد ٣ آلاف عالم مصرى فى أمريكا فى جميع التخصصات ، ومن بين أهم العلماء المصريين الذين يعملون بالحقل الأكاديمى والجامعات الأجنبية بالخارج الأستاذ الدكتور خالد عبد الرحمن، الحاصل على الدكتوراه فى الهندسة المدنية من جامعة دورتموند بألمانيا، ونائب رئيس معهد الهندسة الجيوتقنية بجامعة هانوفر بألمانيا، ومتخصص فى تصميم أساسات المنشآت البحرية وطواحين الهواء المستخدمة لتوليد الطاقة المتجددة، نشر "عبد الرحمن"، حوالى ٦٠ بحثًا فى ميكانيكا التربة والأساسات وحاصل على جائزة أفضل بحث علمي متميز لعام ٢٠١٥ فى إحدى أكبر الدوريات العلمية.

بكل تأكيد ستكون مصر فى مكان أفضل بكثير إذا تم التعاون مع كل العلماء بالخارج و نحن نأمل ذلك خاصة، وأن مصر تعتمد فى خطتها الحالية و المستقبلية على العلم، وهو قاطرة النجاح والمستقبل فإذا استرجعنا كل الخبرات من الخارج فذلك سيساهم من تطوير الاقتصاد المصرى و البنية التحية بشكل كبير جدًا ؛ كذلك إذا اعتمادنا على التصنيع بدلاً من الاستيراد و الاعتماد على المنتجات المحلية و تطوير بعض المنتجات يُمكننا أن نستفيد من خبرات العلماء لتقوية التصنيع لدينا كل ذلك سيضع مصر على الخريطة العالمية و سيكون لدينا عائد اقتصادي أفضل فعندما يكون هناك تطور فى جهة أو مجالات معينة يؤدى إلى جلب شراكات مع دول أخرى فلو مثلًا أصبحت مصر مركز علاجي فبالطبع سيدفع بعجلة الاستثمار بقوة إلى الأمام.

فى واقع الأمر إن أردنا حصر أسماء علماؤنا بالخارج ذلك الكنز القومى لن تسعنا مجلدات فهم نجوم لامعة لا نستطيع عدها و حصرها بالكامل لكننا نراها تضيء لنا دروب المعرفة و التقدم لمستقبل أفضل و حياة أكثر حداثةً و تقدماً .



جدل التنوع الثقافي في الوحدة المصرية

بقلم: د. سحر حسن

مصر بلد التنوع الثقافي، حيث تبدع بين جنباته ثقافات متنوعة، وهو ما يشكل مصدر ثراء انساني. ويجسد التراث الثقافي هذا التنوع، ويجعل منه شاهدا على عمق الثقافة المصرية. ويعود مصطلح "تراث" إلى الإرث أي ما يتركه الآباء والأجداد من موروث، وجاءت كلمة إرث من الفعل الثلاثي "يرث" فمن ترك تراثا ترك إرثاً، وينتقل هذا الإرث من جيل إلى جيل. وللتراث أنواع عدة؛ هناك تراث مادي ملموس وشاهد على العصر الذي نشأ فيه كالآثار والوثائق والمخطوطات.. إلخ. وهناك تراث مادي غير ملموس "معنوي" يجسد روح العصر مثل العادات والتقاليد السائدة، والآداب والفنون بأنواعها، واللغة واللهجات المنبثقة عنها. وتعرف مصر تراثا دينيا، ماديا ومعنويا، غزيرا، إسلاميا ومسيحيا، وتراثا طبيعيا يتمثل في المعالم الطبيعية المتآلفة من التشكيلات البيولوجية والبيئية. ومع ثراء التراث الثقافي، بشتى أبعاده، نتوقف أمام ومضات من التراث الحضاري التي بزغت في بعض المناطق الجغرافية في مصر، شاهدا على تنوعها الثقافي، وثرائها الإنساني، في إطار وحدة إقليمها الجغرافي.

العمق الثقافي

تتميز مصر بموقعها الجغرافي الفريد، وهو ما جعله سببا رئيساً فيما تحويه من ثقافات متنوعة وتراث غير مادى "معنوي" اختلف باختلاف أقاليمها وهذا على مدار التاريخ، فعلى سبيل المثال نجد المجتمع السيناوي



في شبه جزيرة سيناء يتميز بأنماط ثقافية وعادات ربما تمتد إلى ما بعد حدود الدولة حيث المشرق العربي والشام، وإذا نظرنا إلى الصحراء الغربية حيث مطروح وسيوة والوادي الجديد... الخ نجد أن النمط الثقافي يمتد إلى حدود المغرب العربي، أما في الجنوب حيث أسوان والنوبة وحلايب وشلاتين فما يميز الثقافة بها يمتد إلى العمق الأفريقي والسودان وكذلك ما نراه في صعيد مصر والوجه البحري يميزه عن غيره إذ يُعد من مكونات الشخصية المصرية التي تعتمد على عبقرية المكان كما أشار جمال حمدان في كتابه البديع "شخصية مصر". من هنا فإن التنوع الجغرافي أدى إلى تنوع ثقافي في مناح شتى: الفنون والأزياء والحرف والمهن واللهجات والعادات والتقاليد، والتي قد تختلف من مكان لآخر.

إبداع سيناوي

مسكن أهل سيناء في الشتاء يُعرف ببيت الشعر وهو عبارة عن خيمة تغزلها النساء بشعر الماعز وينصبها

الرجال، ويكون بابها جهة الشرق وتتكون من تسع أعمدة وتنقسم لقسمين أحدهما للرجال والثاني للنساء، أما البيت الصيفي فيكون من الشعر أو الوبر لتكون أخف ولا تُسبب الحرارة وتكون مفتوحة من الجهتين.



وعن الزي "السيناوي" فكان عبارة عن جلباب للرجال من الألوان الفاتحة، ويضعون على رؤوسهم شالاً يقيهم الشمس والبرد، ويرتدي مشايخهم ما يُعرف بالعقال، وعن نسائهم فملابسهن أكثر تعقيداً وتنوعاً وثراءً، حيث تتزين الفتيات بعقود الكهرمان والخرز والمتزوجات منهن تُعلق دلايات فوق غطاء الرأس ويضعن قطعاً مشغولة بالخرز الملون بأشكال هندسية فوق رؤوسهن تُسمى "الشماريخ"، والبرقع عند النساء كان يُصنع من الحرير الأصفر المشغول بخطوط برتقالية اللون ويُبطن حتى يتحمل الزينة المعدنية والنقوش التي تُزينه من الأمام. وجلباب السيدة السيناوية مطرز عند الصدر بألوان زاهية وفي الجزء السفلي منه تكثر الزينة والحليات ويضعن عند خصرهن حزاماً لكن حزام الفتاة العذراء كان يختلف عن حزام السيدة المتزوجة.

بيد أن الفنون الشعبية لديهم أكثر تعبيراً عن ثقافة سيناء وجغرافيتها وتاريخها؛ إذ كانت تتميز بالشمولية فهي تجمع بين جنباتها المكون الثقافي لأهل الشام وفي جنوبها المكون الثقافي لأهل الجزيرة العربية، وينتقل ذلك بالتالي إلى وادي النيل. وعادة ما كان يقيم أهالي سيناء أمسيات فنية تُعرف بالسامر يُقدم فيها فنون الشعر والغناء السيناوي والرقص الشعبي وهذا يقام في الأعراس مثل رقصات الريدة أو المرأة الحاشي .

عيد الصلح في سيوة



تقع سيوة على الجانب الآخر في الشمال الغربي، وتبعد حوالي ٣٠٠ كيلو مترا من مدينة مطروح. اتجه أهلها في بادئ الأمر إلى سكنى خيام الشعر أو الخيام الصيفية على غرار أهل سيناء، واختلف الأمر مع مرور الوقت حتى تحول إلى بناء البيوت الحجرية والتي عرفت بالمنازل التقليدية؛ إذ كانت تُبنى بحجر الكرشيف الذي يتكون من الملح والرمال الناعمة المختلطة بالطين وتُصنع النوافذ والأبواب من أخشاب شجر الزيتون والنخيل وتُستخدم مادة الطفلة بعد خلطها بالرمال للصق تلك الأحجار، لتتناسب مع المناخ القاري حتى تكون دافئة شتاءً رطبة صيفًا، ثم تغير شكل بناء البيوت إلى البناء الخرساني بسبب احتياج الأبنية المعتمدة على الكرشيف لصيانة سنوية نظرا لارتفاع منسوب المياه، ثم بنيت البيوت فوق الهضاب المرتفعة محاطة بالأسوار لتقيهم شر غزوات البدو وسميت "شالي" أي البلد.

وتتميز سيوة عن باقي الأقاليم باحتفالية عيد السياحة وهو عيد يعود تاريخه إلى ما يقرب من مائه وستون عاماً مضى ١٢٨٥ هـ - ١٨٦٩ م، إذ كان هناك صراع بين سكان سيوة الغربيين والسكان الذين كانوا يسكنون جبل الدكرور (الشرقيين)، ومع زيارة الشيخ محمد المدني

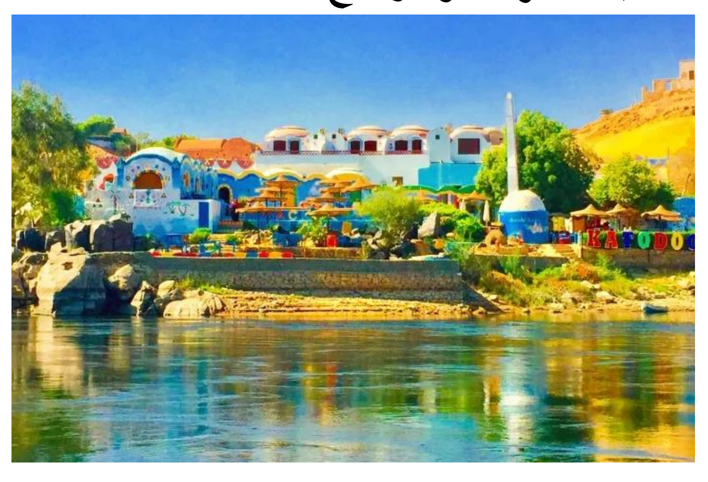
شيخ الطريقة الشاذلية تم الصلح بينهم، واتخذوا من هذا الصلح عيداً. ونظرا لأن عيد الصلح يأتي مواكبا لموعد حصاد التمور، أطلق عليه عيد الحصاد. ويقام العيد بجبل الدكرور لمدة ثلاثة أيام من ١٤ إلى ١٦ أكتوبر من كل عام، ويُعد مناسبة دينية روحانية، تردد خلالها الأدعية والأذكار والابتهالات، ويتناول الناس وجبه الغداء الذي تسهم فيها كل البيوت، تعبيرا عن الابتهاج بالمصالحة التي تمت بين أهل الشرق والغرب.

وتشتهر سيوة بعيد السياحة "المصالحة" أو "الحصاد" إلى جانب اشتهارها بالسياحة بمعناها المتعارف عليه حيث توجد بها الكثير من الموروثات الحضارية والتاريخية كجبل الموتى ومقابر (باتحوت، سي آمون، التمساح، ومايسو إيزيس) وجبل الدكرور ومعبدي آمون وأم عبيدة، وقلعة شالي، ومتحف البيت السيوي، وتشتهر أيضا بالسياحة العلاجية لتوافر الرمال الناعمة الصالحة للعلاج بالطب البديل لأغراض الاستشفاء.

وتتميز سيوة بالصناعات الفخارية اليدوية، وصناعة الحلي بأفضل التصميمات الراقية، كما كانت تقوم النساء بتصنيع الأكلمة والسجاجيد والمفروشات ويستخدم التطريز بخمسة ألوان أساسية (أخضر –أحمر –أصفر –أزرق –أسود) ويقومون بصناعة ملابس الرجال والنساء المطرزة بنفس الألوان السابقة، وبتصاميم متوارثة منذ آلاف السنين خاصة بتراثهم. وتبين تلك الأزياء كيف عرفت واحة سيوة الفنون التشكيلية الشعبية من خلال هذا التطريز، وكذلك أنواع الحلي التقليدية التي كانوا يرتدونها.



الذهب الأسمر.. فنون وإبداع



يطلق اسم النوبة على منطقة شهيرة من وادي النيل وتعني أرض الذهب، وتنقسم النوبة إلى قسمين: النوبة العليا التي تقع في السودان والنوبة السفلى التي تقع في مصر ويفصل بينهما الجندل الثاني عند وادي حلفا، ويقطن النوبة ثلاث جماعات بشرية الفاديجا، الكنوز، وعرب العليقات التي ترجع إلى أصول مختلفة مما يعكس ثقافات مختلفة، وتتسم الثقافة الشعبية النوبية بالثراء الشديد والتنوع والعراقة مستفيدة من موقع جعلها في إطار تفاعلات ثقافية في مختلف الاتجاهات، وتبلورت تلك الثقافة بخصوصية ظهرت في عاداتها وتقاليدها وفنونها ومناسباتها واحتفالاتها.

وجاءت الفنون النوبية تحمل رموزا تعكس دلالاتها معتقدات شعبية وأسطورية تُبين عراقتها ويتجلى ذلك في الرسوم الجدارية ورسوم الوشم والزخارف وتشكيل الخرز ومشغولات السعف وحفلات الثمار وكذلك في الحرف اليدوية من سلاسل وأطباق وحصير وبعض الرسومات التي تغطي الرأس سواء كانت سيفا يرمز للقوة والبطولة أو هلال يرمز للتفاؤل أو وحدة زخرفية ترمز للخصوبة.

ويُعد البيت النوبي أشهر ما يُميز النوبة حيث تمتاز تلك البيوت بروعة مظهرها وتناسق عمارتها بالرغم من إقامتها بالطوب اللبن الممزوج بجريد النخيل وجذوعه التي تسقف تلك البيوت والتي تقام على ضفاف النيل وتتخذ أشكالا دائرية يجمع كل بيت بنائين دائريين يخصص أحدهما لسكنى الرجال والآخر للنساء.

ويمثل البيت النوبي عنوان ثقافة النوبيين وسجل حياتهم إذ يتكون في المدخل من فناء متسع غير مصفوف يسمى الحوش السماوي وينقسم إلى قسمين:

القسم الأول لرب الأسرة ويستقبل فيه الزوار، أما الثاني للسيدات وله خصوصيته وحرمته إذ يحوي غرف النوم التي تسمى القباوي والتي تمنع الحرارة وهناك أماكن للخزين تحفظ فيها المأكولات وتسمى الديولة. ويحاط هذا البيت بجدار عال للحماية من تقلبات المناخ ونظرات الآخرين، وتزين جدران البيت من الداخل والخارج فالجدار الخارجي سجل تاريخي للأسرة من حج وزواج وغيرها من المناسبات التي تطبع رسوماتها ورسومها على الجدران، والحوائط الداخلية مزخرفة برسوم هندسية الغائرة منها للبوابات وفي الواجهة يوضع طبق خزفي ملون كأنها بقايا عبادات من مصر القديمة.

أما عن الزي النوبي فقد كانت المرأة النوبية ترتدي ما يُسمى الجرجار وهو جلباب أسود فضفاض ذو أكمام واسعة طويلة وسمي بذلك لأنه يجر على الأرض فيمحو خطوات المرأة ويلبس مع الجرجار غطاء رأس من ذات القماش لونا ونوعا، ولم يعد هذا الزي مستخدما بين نساء النوبة الان. ويتنوع زي المرأة النوبية حسب المرحلة العمرية والحالة الاجتماعية فالفتاة تكون ألوان ملابسها هادئة وخفيفة أما بعد الزواج فيمكنها التطريز المتنوع لملابسها بالألوان الزاهية وحاليا أصبح الزي المنتشر بين سيدات وفتيات النوبة هو العباءات، ومن الأزياء الشهيرة التي تعد تراثا للمرأة النوبية هو ثوب الدس وهذا الثوب لونه زاهي، وتستخدمه المرأة في المناسبات الاجتماعية السعيدة. أما حلي المرأة النوبية فهو يُمثل جزءا من شخصيتها ومن تاريخ وثقافة الإنسان النوبي ويأتي الذهب في صدارة الحلي وتتعدد اسماء قطع الحلي لهن (الجكد، الزمام الكردان) وغيرها من القطع الأخرى، ومن القطع المهمة أيضاً في الحلي الحلق أو القرط، وهناك مسميات لحلي ذهبية أخرى كانت تلبسها المرأة النوبية من قبيل "فضة الرحمن" وتوضع على الجبهة مع الراسان وهي سلسلة توضع معها، "قلادة البيق" وهي تشبه الكردان ويُكتب عليها "ما شاء الله"، كما كانت ترتدي خلخالاً من الفضة في القدم يسمى الحجل. أما الرجل النوبي فكان يرتدي ملابس خاصة ببعض المناسبات ويغلب على زيه اللون الأبيض جلبابا وعمامة. وملابسه العادية أقل تعقيدا من زي المرأة النوبية.

ولأهالي النوبة آلات خاصة بالغناء والرقص الشعبي النوبي فتتنوع أشكال الغناء النوبي على الآلة المستخدمة في الغناء مثل آلة الطنبور التي يقوم بالرقص عليها كل من الرجال والنساء والغناء أيضاً، وكذلك آلة الطار والتي يُشارك في الغناء عليها كل الحاضرين سواء كانوا رجال أم نساء. ومن الرقصات المعروفة في النوبة الأرجيد، والهولولي. ومن السمات المميزة في الرقص عند الفاديجا هي التمايل اما الكنوز فهي الوثب مع دق الكف.

وبصفة عامة يتميز الرقص الشعبي بالتنوع من مكان لآخر. هناك الرقص السيناوي والرقص النوبي ورقص الواحات البحرية واللعب بالعصا "التحطيب" والحنة السويسي والضمة البورسعيدي "الصحبة" ورقص السمسمية ورقصة الحجالة في صحراء مصر الغربية والرقص السيوي.

وتُعلم المرأة النوبية ابناءها التراث، والحفاظ على العادات والتقاليد والموروثات الثقافية. ولأهالي النوبة عدة احتفالات تُعبر عن خصوصيتهم وثقافتهم كحفلات الزواج والحج والاحتفال بالمولود الجديد وليالي التحنين أيام الحج وغير ذلك.

الآثار المصرية بين الأستاذ والتلميذ



بقلم: أحمد أبورية

تنعقد الدورة ٥٥ من معرض الكتاب ٢٠٢٤ ، فى مركز مصر للمعارض والمؤتمرات الدولية، فى التجمع الخامس، فى الفترة من ٢٥ يناير إلى ٦ فبراير ٢٠٢٤، تحت شعار " نصنع المعرفة نصون الكلمة "، وتحل مملكة النرويج ضيف شرف، ووقع اختيار اللجنة الاستشارية العليا لـ معرض القاهرة الدولى للكتاب، على عالم المصريات، الدكتور سليم حسن، ليكون شخصية المعرض، لذا، يُسعد مجلة أريك أن تقدم لقرائها هذا المقال الذى يحوى بين جنباته معلومات مهمة ومفيدة عن عميد الأثريين المصريين.

لُقب الدكتور سليم حسن بعميد الأثريين المصريين، حيث أنه أحد أعلام علم الآثار، لما قدمه من دراسات رائدة في هذا المجال حيث قدم أعمالًا مهمة تحمل في طياتها التاريخ المصري والحضاري منها على سبيل المثال لا الحصر عمله الأبرز "موسوعة مصر القديمة" التي تتكون من ثمانية عشر جزءًا، فضلاً عن بصماته المتميزة في الكشف عن العديد من الآثار المصرية.

وُلد عالم المصريات سليم حسن في ابريل عام ١٨٨٦م، بقرية ميت ناجي التابعة لمركز ميت غمر بمحافظة الدقهلية، كان صغيراً عندما تُفي والده وأصرت والدته على أن يُكمل تعليمه، فبعد أن أنهى سليم حسن مرحلة التعليم الابتدائية والثانوية وحصل على شهادة البكالوريا عام ١٩٠٩م؛التحق بمدرسة المعلمين العليا،



كان أحد تلاميذ عالم الآثار صاحب أول قاموس في اللغة المصرية القديمة "الهيروغليفية"، وأول أثري مصري يعمل في المتحف المصري، وأول من نشر كتاباً عن الآثار المصرية باللغة العربية، أحمد كمال باشا، وبسبب تفوقه في علم التاريخ ثُم تم اخياره لإكمال دراسته بقسم الآثار الملحق بالمدرسة وتخرج منها عام ١٩١٣م .

تتلمذ على يد عالم المصريات أحمد كمال باشا الذي أحبه لتفوقه وسعى لإلحاقه معه في المتحف المصري ولكن سرعان ما بائت محاولته بالفشل وذلك لاحتكار الأجانب العمل بمصلحة الآثار بعد الاحتلال الإنجليزي لمصر، فعمل مدرسًا للتاريخ بالمدرسة الناصرية بالقاهرة ثم تم نقله إلى مدرسة طنطا الثانوية ومنها إلى أسيوط ثم مدرسًا في المدرسة الخديوية الثانوية، وقام بالاشتراك في وضع الكتب التاريخية التي كانت مقررة على طلبة المدارس

ولم يتحقق حلمه إلا بعد ثورة ١٩١٩م التي غيرت من الأوضاع السياسية والاجتماعية في التغيير لصالح النخبة المصرية ويصبح الوزراء أكثر استقلالًا وأوسع نفوذًا وهي الفرصة التي طال انتظارها للدكتور سليم حسن للالتحاق بمصلحة الآثار، فالتحق سليم حسن بالمتحف المصري أمينًا مساعدًا.

الجدير بالذكر أن أحمد كمال باشا كان أول مصري يتعلم الهيروغليفية ويؤلف قاموساً كاملاً عنها ويؤسس المدرسة الوطنية في علم المصريات رغم سيطرة الأجانب وقتذاك على ذلك القطاع فحاربوه، وتعرض للظلم والقهر بسبب عدم استطاعته الحصول على فرصته كعالم آثار مصري، ورغم كل التحديات التي واجهته قام بتأليف أول قاموس "هيروغليفي-عربي-فرنسي"، وحاول أستاذه الألماني "بروجش" إلحاقه بالمتحف المصري فيعارض مديره الفرنسي "مارييت" ليوزع جهده في عدة أعمال بين معاون ومترجم، حتى دخل الآنتيكخانة "مصلحة الآثار" مترجماً، ومعلم لغة قديمة.

وفي عام ١٩٢٢م سافر سليم حسن برفقة أحمد كمال باشا لحضور احتفال الذكري المئوية لعالم الآثار الفرنسي جان فرانسوا شامبليون ومنها قام بزيارة عددًا من الدول كان من بينهم فرناس وألمانيا وإنجلترا كتب خلال تلك الزيارات عددًا من المقالات العامة عن تهريب الآثار المصرية إلى خارج البلاد تحت عنوان "الآثار المصرية في المتاحف الأوروبية"، أوضح من خلالها عمليات سرقة الآثار المصرية ومن أهمها الأثر الشهير الذي شاهده في برلين وهي رأس نفرتيتي.

التحق عالم المصريات بعد ذلك بقسم الدراسات العليا بجامعة السوربون عام ١٩٢٥م بترشيح من أحمد كمال باشا، وحصل منها على دبلوم اللغات الشرقية واللغة المصرية القديمة "الهيروغليفية" من الكلية الكاثوليكية، كما حصل على دبلوم الآثار من كلية اللوفر، ثم دبلوم اللغة المصرية القديمة ودبلوم الديانة المصرية القديمة من جامعة السوربون، عاد سليم حسن بعد ذلك وانتُدب لتدريس علم الآثار بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول "جامعة القاهرة حاليًا" ثم عُين بها أستاذًا مساعدًا.

عمل جاهداً في توعية وتثقيف المصريين بأهمية الحضارة المصرية القديمة في محاولة بعث ثقافية نابعة من التربة والجذور المصرية ضد التخلف والتزمت، ومواكبة العقل المصري للمتغيرات الحضارية، وقد ظهر ذلك في الرسائل المتبادلة بين عميد الأدب العربي طه حسين، وعميد الريين المصريين سليم حسن.

قال طه حسين أنه تأثر بأحمد كمال باشا، كاشفاً في سيرته "الأيام" أنه حين التحق بدراسته في الأزهر الشريف لم يكن سمع قط درساً في تاريخ الفراعنة، ولم يسمع اسم رمسيس أو اخناتون، وبعد التحاقه بالجامعة المصرية عام ١٩٠٨م، رأى نفسه ذات ليلة في غرفة من غرفات الجامعة يسمع الأستاذ أحمد كمال يتحدث عن الحضارة المصرية القديمة، ويذكر رمسيس واخناتون وغيرهم من الفراعنة، ويحاول أن يشرح للطلاب مذهبه في الصلة بين اللغة المصرية القديمة واللغات السامية ومنها اللغة العربية، ويستدل على ذلك بألفاظ من اللغة المصرية القديمة يرجعها إلى العربية، وهو أعظم دهشة وذهولاً حين يفهمه في غير مشقة ولا جهد.

شارك أحمد كمال باشا في العديد من البعثات والاكتشافات الأثرية في منطقة مير، ودير البرشا، وأسيوط، والعمارنة، وأشهرها خبيئة استقى المخرج شادي عبد السلام من أحداثها الحقيقة أول مشاهد فيلمه الفريد "المومياء" وفيها تم تجسيد أحمد كمال نموذجاً للمثقف المستنير للدفاع عن تراث أجداده، كمان أنه حصل على الرتبة الثانية التي تمثل لقب "بك"، وقبل وفاته حصل على رتبة "ميرميران" وهو من رتب الباشوية والتي منحها له الملك فؤاد، واستكمل على نفس الخُطى تلميذه

سليم حسن الذي شارك في عدد من الحفائر الاثرية منها حفائر منطقة الهرم عام ١٩٢٨م مع عالم الآثار النمساوي يونكر، واستُكملت تلك الحفائر عام ١٩٢٩م لأول مرة بأيد مصرية لحساب جامعة القاهرة، ونجحت أعمال تلك البعثة في اكتشاف مقبرة "رع-ور" بمحتوياتها كاملة، ومقبرة "خنتكاوس" ومقبرة أبناء الملك "خفرع"، وغيرها من التماثيل ومراكب الشمس التي تعود للملك "خوفو" ثم انتقل إلى للعمل بحفائر منطقة سقارة، كما أشرف على حفائر مصلحة الآثار في النوبة عام ١٩٥٨م.

عينه الملك فؤاد عام ١٩٣٦م بمنصب وكيل عام مصلحة الآثار المصرية ليكون سليم حسن أول مصري يتولى هذا المنصب، وليكون بذلك المسئول الأول عن كل الآثار المصرية، وقد عمل من خلال هذا المنصب على إعادة كثيراً من القطع الاثرية إلى المتحف المصري بالقاهرة، تلك القطع التي كان يمتلكها الملك فؤاد، وحاول الملك فاروق إعادة تلك القطع بعد ذلك ولكن رفض سليم حسن، حتى أنه كان يردد دائماً مقولة عن مواقف سليم حسن في حماية آثار بلاده: "هو الفلاح ده ورايا ورايا"، مما عرضه لمضايقات شديدة كانت سبباً في أن يترك منصبه عام ١٩٤٠م، والتي تُعد امتداد لخطة أستاذة أحمد كمال الذي كان القوة الدافعة وراء إصدار قوانين حماية الآثار في نهاية القرن التاسع عشر، وشارك في نقل متحف بولاق للجيزة، ثم لقصر النيل "متحف ميدان التحرير حالياً."

بسبب خبرته الواسعة استعانت به الحكومة المصرية عام ١٩٥٤م بدأ التخطيط لبناء السد العالم المشروع المصري الضخم، فعينته رئيساً للبعثة التي سوف تحدد مدى تأثير بناء السد العالي على آثار النوبة، وكتابة تقرير عن وسائل إنقاذ معابد المنطقة وآثارها قبل أن تغمرها مياه السد العالي، ثم انتُخب عام ١٩٦٠م ليكون عضواً بأكاديمية نيويورك التي تضم أكثر من ١٥٠٠ عالم من ٧٠ دولة وقد حصل عليها بالإجماع، وظل عاشق الآثار يعمل بعزيمة لا تلين حتى وهو في سن الشيخوخة بين كتبه ومقالاته حتى انتقل إلى لقاء ربه وهو في الخامسة والسبعين من عمره في ١٩٦١م.

لا تقل جهود أحمد كمال باشا أهمية عن شامبليون، فكلاهما أحدث ضجة علمية كبيرة في علم المصريات، فاذا كان شامبليون فك رموز حجر رشيد لإجادته اليونانية والقبطية، فإن كمال استطاع ربط جذور الكتابة الهيروغليفية باللغة العربية واللغات السامية وترجم المعجم بالكامل إلى الفرنسية، ذلك المعجم الذي كان الأول من نوعه

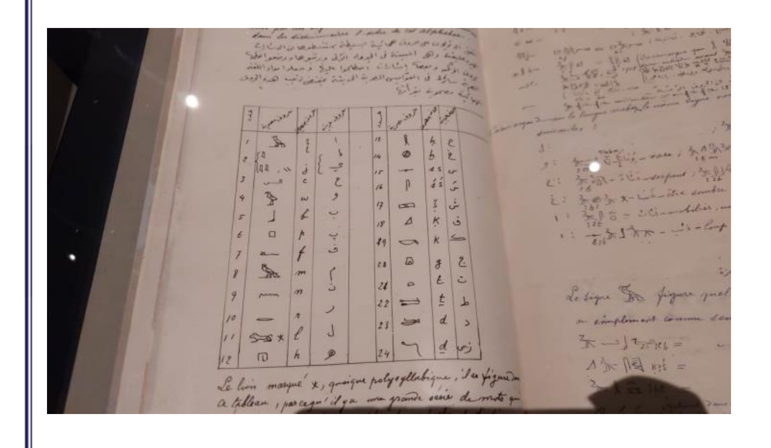
والذي يضم ٢٢ مجلداً، ويُعد عملاً فريداً من نوعه، إذ يحمل كل مجلد حرفاً من الأحرف الهيروغليفية وهو مترجم إلى اللغة الفرنسية والعربية، بالإضافة إلى القبطية والعبرية واليونانية، والأمهرية والأشورية في بعض الكلمات، فضلاً عن استخدام مجموعة خطوط تُعد تطوراً للهيروغليفية وهي: الهيراطيقية، والديموطيقية في بعض الإيضاحات في قائمة المفردات بالقاموس، لذا فهو عمل معجزة بكل المقاييس، وظل هذا القاموس منذ عام ١٩٢٣م في منزل أسرته حتى أهدته لمكتبة الإسكندرية عام ٢٠٢٠م بقاعة الكتب النادرة داخل المكتبة.





كافح الأستاذ والتلميذ في سبيل إنشاء مدرسة وطنية لترسيخ علم المصريات بأيدي مصرية، ولكن بسبب اضطهاد وسيطرة الأجانب على المجال الأثري والذي بدأ منذ عصر الخديوي إسماعيل عندما تأسست مدرسة "اللسان المصري" المتخصصة فقط في تدريس اللغة المصرية القديمة للمصريين بإشراف من "ماربيت"، والتي تخرج منها دفعة واحدة فقط كان من أبرز خريجيها أحمد كمال باشا ولكن ماربيت بعقلية استعمارية قرر اغلاق المدرسة تماماً بحجة نقص الاعتمادات، ولكن هدفه واضحاً وهو حتى لا يكون هناك مصريون يعرفون بآثارهم وتاريخهم وحضارتهم العظيمة، وحتى تستمر في قبضة القوى الاستعمارية يسرقونها وينهبونها بلا رقيب، ويرفض أن يظهر أمثال أحمد كمال باشا مؤرخ مصري يكتب في تاريخ مصر وحضارتها العظيمة كتابة علمية سليمة.





الثائرون أحياء
صحوة المحكومين في مصر الحديثة (٢/٢)



بقلم: أحمد محمد إنبيوه

لم يعد الشعب كياناً مبهماً، بل ضم ملايين الأفراد الذين أصبحوا ملايين الموكلين. نحن بصدد عقد بين طرفين. أصبحت العلاقة بين الزعيم والشعب، علاقة ثنائية، تم التراضي عليها بين الجانبين. بذلك. فتح الباب لأول إرهاصات الاستقلالية الشعبية. كما أنه في العام ١٨٨٢، لم يكن النسيج الوطني مؤهلًا لاتخاذ مبادرات مماثلة، فلم يشكّل السديم الاجتماعي الحديث القادر على اتخاذ المبادرات، سوى أقلية ضعيفة الإرادة، محاصرة في إطار بيئة عامة تقليدية. لم يستطع استثارة انتفاضة. شعبية. فلم تنطلق تلك الانتفاضة إلا بالتماهي المستمر مع القرارات التي اتخذها عرابي والأفعال التي قام بها. في ١٩١٩، كان السديم الأول قد تحوّل إلى ائتلاف طبقي يمثل كتلة حاسمة من الأفراد المسئولين عن أنفسهم، أي كتلة قادرة في الظرف المواتي على أن تحقق تغييرًا هاما، بل حاسمًا، في موازين القوى السياسية. كفّ الشعب عن أن يكون صدى لحركة الزعيم. أخذ يعبر عما يجيش بصدره، وأصبح قادرًا على الحركة الذاتية. لعب الزعيم دوراً لا غنى عنه، في توحيد هذا الشعور وتثبيته، ومنحه عمقاً سياسيًا. إلا أن مشروعه كان سيجهض من البداية، إن لم يحمله تيار شعبي مستقل عارم".



حقيقة كانت الثورة مرتبطة بسعد، لكنه كان الشرارة والمحرك؛ فالثورة كانت حلماً جماعيا بامتلاك وطن، وتجاوز منطق كوننا رعايا.. " جسد سعد زغلول تطلعات الطبقات الوطنية، بمن فيها كبار الملاك المصريين. إلا أن الحدث الثوري كان من صنع الطبقات الشعبية، وخاصة الطبقات الوسطى والعمالية في المدن، وساندها فقراء الفلاحين على فترات متقطعة. بقي كبار الملاك في الكواليس متخوفين من الحركة الجماهيرية وتجاوزاتها المحتملة، وإن أدركوا أن تلك الحركات الجماهيرية هي وحدها القادرة على مواجهة السلطة المحتلة.

إذ قامت الطبقات الوسطى والكادحة بالتمرّد. ولأن أساس النظام يقوم على سلب المحكومين

استقلاليتهم، وعلى تخدير وعيهم الذاتي.
من هنا الأهمية القصوى التي يحملها الحدث الثوري، إذ يفتح للطبقات الشعبية حيزًا للتعبير عن طموحات أصيلة، نابعة من أعماقها، فيسمح لها باستكشاف استقلاليتها الذاتية – وذلك من خلال بلورة علاقة مباشرة حية، بين كل فرد والجماعة. يشكل الحدث الثوري، أي اللحظة التي يشغل فيها الشعب الميادين العامة، لحظة فارقة في الوعي الذاتي للمحكومين، إذ اتيح للفرد إمكانية أن يسبر أعماق ذاته تحت بصر الآخرين، فيتكاثف وقع اللحظة لكون الجميع يعيشونها معا. وتستقر هذه اللحظة في ذاكرة كل فرد، وتكون رصيدا من الثقة، تزداد قوته من كونه فرديًا وجماعيًا في آن واحد. تحرّر من ساهموا في الحدث من الخوف الذي بثته السلطة المحتلة . ونفضوا إلى حد كبير الوصاية النفسية والمعنوية التي فرضتها عليهم الهيئات السياسية والدينية في المدن، وكبار الملاك في الريف. والنتيجة كانت رغم كل هذا، ما يمكن اعتباره نصف انتصار، وإن لم تنزع الثقة التي اكتسبها الشعب خلال الحدث الثوري، كما كان الحال في ١٨٨٢، وإنما استثمرت في نمط مبتكر من النشاط السياسي، وهو الحياة البرلمانية القائمة على الاقتراع العام. احتوت القيادة الوفدية في هذا الإطار روح المبادرة الذاتية الشعبية، ووجهتها حتى نهاية الأربعينيات. ولكن الحركة الشعبية استعادت بعد ذلك قوة دفعها الذاتية، وتخطت القيادة الوفدية، لتعلن عن حلول مرحلة جديدة من الوعي الثوري".

حينما يتحول التمرد إلى ثورة

في سياق السردية الوطنية المصرية، تمت المراوحة في استخدام الكلمة القياسية التي تحتوي نظريا ومفاهيما الانتقال الثوري. ومن ثم، "استخدم العديد من المؤرخين المصريين لفظ «ثورة» لوصف الهبات الشعبية كافة، بغض النظر عن حجمها أو عمقها.

فأصبح اللفظان مترادفين في الاستخدام الجاري.
ولكن لفظ «ثورة» لم يستخدم لأول مرة في الساحة السياسية، إلا خلال انتفاضة ١٩١٩. قد يجدر بنا، إذن، أن نذكر بالمضامين المتتالية التي حملتها تلك الانتفاضات قبل أن تصبح ثورة. قبل ١٧٩٨، عاش الأهالي الانتفاضة على أنها "فوضى مدنسة للقدسيات"، قطيعة مع طبيعة الأشياء، يحس القائمون بها بأنها حركة غير مرغوب فيها بل تدعو إلى الخجل. في ١٧٩٨ وفي ١٨٠١، انتفض الشعب ضد قوى الاحتلال الفرنسي الكافرة، فكانت الانتفاضة جهادا وواجبا مقدسا لم يهدف إلى تغيير «نظام الأشياء»، وإنما هدف إلى العودة بالأمور إلى «نظامها المفتقد»، أو إعادة المياه لمجاريها. في ١٨٠٥، تغيرت طبيعة الانتفاضة إلى حد كبير، إذ تضمنت أهدافها رغبة واضحة في إدخال تغيير على الهيكل السياسي – الاجتماعي، راغبة في التخلص من نظام البكوات المماليك، وطالبت بمنح الأعيان والعلماء حق الرقابة على الميزانية والضرائب. إلا أن المتمردين ظلوا معترفين للسلطان وللعسكر (الذي مثلهم محمد علي) «بالحق الطبيعي» في الحكم. قام التمرد ضد وضع يسيء إلى الله، وهدف إلى استبداله بوضع يرضى عنه الله.
ظل المحكومون على حافة حرجة بين التبعية الذاتية والاستقلال الذاتي – في حركة مستقلة خاضعة لضمير ما زال تابعًا.. في ١٨٨١ – ١٨٨٢، أخذ المحكومون يطالبون بتغيير في طبيعة الأمور. ظهرت شقوق واسعة في الهيكل اللاهوتي ـ السياسي، وازدادت الفجوات بين مملكة الله الأزلية والمغامرة البشرية الدنيوية، بين الجماعة والفرد، بين العام والخاص. من هنا أولى إرهاصات طبقات اجتماعية شبه حديثة، ازدوج معها مبدأ الشرعية – متأرجحا بين صورة الزعيم وصورة الخديو. بدأ الضمير الذاتي للمحكومين يعبر عن استقلاليته، ويضع بصماته الخاصة على الواقع السياسي".

كـان التغيير الحاسـم في استخدام المفهـوم الثوري مـرتبط بالثـورة الـتي أخـذت قـدرًا لا بأس بـه مـن النضـج في مستويات الحراك لدى القواعد الجماهيرية "في ١٩١٩ – ١٩٢٢، امتدت استقلالية الضمير إلى استقلالية الحركة. لم يكتف المحكومون بـدعم الزعيم، بـل أخـذوا يبـادرون، ويبـدعون، ويقـررون، ظهـر حينـذاك مصـطلح «ثـورة»، بالمعنى الـذي أضفاه عصـر الأنـوار الأوروبي علـى عمليـة قلب نظام سياسي رجعي، واستبداله بنظام سياسي أكثر تقدمًا. بدأ المصريون ينظرون إلى الثورة على أنها مبادرة الـذين ليس لهـم عـادة حق المبادرة. هـي لحظـة سـحرية، يتصرف خلالها المحكومـون كـأنهم حكـام، لحظـة سعيدة يمتلكها الشعب، أو أدق، ينتهز فيها الشعب الفرصة لأن يعلن امتلاكه لنفسه. لم يعد المحكومون عندئذ يسيرون في الشـوارع ككميـات مهملـة، غـرباء عـن بعضـهم الـبعض، مستسلمين للحاكم ولخطابه. أحسوا فجأة بأنهم انتقلوا إلى كوكـب آخـر، انـدمجوا في كتلة واسعة، يتعرفـون فيهـا على بعضهم البعض في تواطؤ تلقائي.

وجـدوا أنفسـهم جـزءا لا يتجـزأ مـن كيـان يشـعرون فيـه بحضـور نفسـي أكثر كثافة مـن ذي قبـل. هربـوا مـن ثقـل الأيام العادية، وأحسوا بثقـة ذاتيـة تسـمح لهـم بالتصـرف والحركة خـارج الأطر المألوفة والأنماط المسموح بها رسميًا. كـادوا ينتزعـون مـن الأرض، ويحلقـون في السـماء. فـأدت ثورتهم إلى تغيير حقيقي، وإن كان محدودًا، في العلاقة بين الـوطن والممثـل وكسـبت الدولـة المصـرية شـكلاً جنينيـاً للسيادة، بدأت في إطاره الجربة ديمقراطية جديدة".

بينمـا في سـنوات بنـاء الهياكـل السياسـية والقانونيـة، والارتباطـات الطبقيـة. أخـذت الأمـور إيقاعـات أكثـر نضـجًا علـى مستوى الفعـل السياسـي، المستند في بنيتـه القانونية والسيادية على إرادة شعبية "في سنوات ١٩٢٢ و ١٩٥٢ كفـت الإرادة الشـعبية عندئـذ عـن أن تبـدو كشعار أجوف.

بل أصبحت عنصرًا فعالاً في عملية اتخاذ القرار الحكومي، بفضـل الـرباط العضـوي القـائم بـين الشـعب والقيـادة الوفديـة. ذلـك الـرباط الـذي كـان لـه الفضـل فيمـا بـين ١٩١٩ و ١٩٢٢، في إلغـــاء الحمايـــة وإرســـاء نظـــام دســـتوري. ثم تعقّـــد هـــذا الـــرباط فيمـــا بـــين ١٩٢٣ و١٩٤٥، فاشتد أحياناً وتلاشى في أحيان أخرى. وأخيرًا تراخـى بشـكل واضـح، اعتبـارا مـن ١٩٤٦، إذ أظهـرت قيادة الوفد عجزها عن قيادة الشعب في نضاله من أجل التحـرر الكامـل مـن الاحـتلال البريطـاني. إلا أن الصـراع بين الوفد والعرش قد أدى إلى أن تدار مناقشات برلمانية حقيقيـــة، لقيـــت صـــدى واســـعاً في الجرائـــد والمجـــلات والاجتماعات وأحاديث القهاوي. سادت سلطة الكلمة، فهبـت ريـاح الفكـر النقـدي، وازدهـرت الحجـج المركبـة. وبفضـل ظهـور الطبقـة الوسـطى والطبقـة العاملـة كفاعـل تاريخي مستقل في المجتمع، لم يعد الحكام يهيمنون تمامًا علـى العلاقـة بيـنهم وبـين والمحكـومين. أصـبحت هـذه العلاقة ذات طابع تعاقدي، ديموقراطي إلى حد ما — إذ أكـد فيهـا المحكـومين اسـتقلاليتهم الذاتيـة، لـيس فقـط بـدعمهم الحـر والإرادي لقيـادة الوفـد في مرحلـة أولى، بـل أيضًـا بتخطـيهم التـدريجي لهـذه القيـادة في مرحلـة تاليـة. شهدت مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية اندلا ع موجة ثوريـة عـبرت عـن سـخط متزايـد تجـاه القيـادة الوفديـة، وأخـذت بعض التيارات الشعبية تتخطاهـا، بينمـا بـدأت تيارات أخرى تقاومها".

بعـد حـراك الضـباط في ١٩٥٢، تغيرت بنيـة السـيادة بمفهومها النظري وظلها العملي على أرض الواقع، لم يعد الشعب سيدا، ولم تعد ثمة قوى سياسية تناور بحثا عن مصالحها، مستخدمة ذريعة التعبير عن السيادة الشعبية. فالأسـاس الدسـتوري والقـانوني الـذي كـان يـدور حولـه أغلب السجال، جرى سحب إلزاميته، ليتحول لمجرد نص فضفاض، لا يؤدي لإيقاع سياسي حقيقي.

"بعد قرارات ٥ مارس ١٩٥٢ عبرت جميع الفئات الشعبية عن فرحة غامرة. التفت جماهير غفيرة حول قصر عابدين، وحيت محمد نجيب بحماس ذكر من شهدوا ثورة ١٩١٩ بالحماس الذي انتابهم عندما عاد سعد من المنفى. لقد عبرت بذلك الفئات الشعبية كافة، بمختلف ألوانها السياسية، عن تمسكها باستمرار الحياة الديموقراطية كما عرفتها. إلا أن مقاليد الأمور لم تعد بين أيدي هذه الفئات. كان لديها، طوال مرحلة المد الوطني من سنة ١٩٤٥ لسنة ١٩٥٢، القدرة على اتخاذ المبادرات، وفرض الأحداث على القيادات، كانت هي الفاعل الرئيسي في هذا المد التاريخي. ولكنها عجزت، بمعنى آخر، لم تستطع أن تفرز قيادة موحدة، ولا قدرة ذاتية منظمة، ولا رؤية متماسكة، تمكنها من فرض نظام ديموقراطي جديد، على أنقاض النظام القديم. لذلك عندما قبض الضباط الأحرار على الحكم. تلا ذلك انكسار تدريجي للمد الجماهيري، وفقدت الفئات الشعبية قدرتها على اتخاذ المبادرات الفعّالة، وأمست بعد ذلك في موقف دفاعي؛ قواها مشتتة، وقدرتها على خوض معارك مستقلة تتضاءل يوما بعد يوم. وأصبحت السلطة هي القادرة على تحريك الأحداث ."

كان من الطبيعي، بعد انكسار القدرة الجماهيرية على الفعل والحراك السياسي، أن تتحول وتتغول السلطة الجديدة لتحتل ما لها وما للجماهير والفئات المعبرة والممثلة لها "أسس نظام ناصر شكلا جديدًا من الحكم احتكر من خلاله المبادرات السياسية والاقتصادية — وعمل على قمع مبادرات الطبقات الشعبية — بدعوى أنها تولّد بالضرورة تناقضات، وتسبب انقسامات، تحدث شروخا في الإجماع الوطني، فتضعف من قدرة الحاكم الأوحد على العمل باسم الوطن المصري. اتخذ مجموعة من القرارات هدفت إلى وضع الكيان الاجتماعي المصري برمته تحت وصاية سلطة الدولة. ألغى بذلك كل ما اكتسبه المجتمع المدني من استقلالية منذ ثورة ١٩١٩. حل جميع الهيئات الوسيطة (أي الهيئات الاجتماعية الحرّة التي تلعب دور الوسيط بين الأفراد والدولة، مثل الأحزاب، والنقابات، والتعاونيات، والجمعيات، والصحافة الحرة)، التي سمحت حتى الآن للمجتمع المدني بالتعبير عن أمانيه ومطالبه. وأقام في مكانها هيكلاً تنظيمياً جديداً — هيئة التحرير، التي تحولت إلى الاتحاد القومي، الذي تحوّل بعد ذلك إلى الاتحاد الاشتراكي — وضع أنشطة الحياة السياسية والنقابية، والاجتماعية كافة، تحت إمرة أجهزة الأمن. وأخضع مجمل الهياكل السياسية والنقابية، من أعلى لأسفل، لمراقبة بوليسية مؤسسية. وفرض عليها خطابا موجّها وفقا للتعليمات الصادرة من قمة السلطة ."

كان هذا العمل العنيف من قبل سلطة الضباط الجديدة، تجاه نسيج جماهيري متنوع وفاعل سياسيا ومجتمعيا، مبعثه الخوف بالأساس من قدرات هذه الجماهير، واتباعا لإرث تاريخي يعود للقرن التاسع بتأسيس حداثة من أعلى لا من أسفل، وحلم بوطن معالمه وخريطة وجوده لا تحقق إلا بنفي الجماهير من الفعل، لصالح المشاهدة والمتابعة الصامتة للإنجازات التي سيحققها النظام الثوري الجديد. "كان المشروع الناصري، مرتبط بنمط وتجربة سياسية تخشى الحركة الجماهيرية وتشجب مبادراتها، فلا تؤمن إلا بقبض الصفوة العسكرية على سلطة الدولة، واحتكارها للمبادرات السياسية كافة. يبدأ رهان عبد الناصر التاريخي، على غرار رهان محمد علي باشا، من قمة الدولة، لا من القاعدة الاجتماعية. لذلك فالمشروع الناصري مطبوع بسمة السلطوية والأبوية، إذ يعتبر كبت حركة الجماهير التلقائية شرطاً من شروط تحقيق الوحدة الوطنية. يمكن القول، أن عبد الناصر أرسى شكلا جديدا للحكم، جمع بين صورتي محمد علي وسعد زغلول. جسد صورة محمد علي في إصراره على حكم

فردي مطلق، وإيمانه بأن التغيرات الاجتماعية والاقتصادية تأتي من قمة سلطة الدولة، لا من قاعدة المجتمع. ولكنه لم يثبت أسس نظامه، كما رأينا، إلا بعدما تبني الطموحات الوطنية والإصلاحية للشعب المصري، أي بعدما اكتسب شعبية سعد زغلول. ويرجع الفارق بين الوجوه الثلاثة إلى اختلاف الظروف التاريخية التي أحاطت بها ."واستمر النظام كاتماً لكل الفاعلية الجمعية حتى ما بعد الهزيمة الكاسحة في ٥ يونيو ١٩٦٧، إلى أن استعاد الشعب جزء من حيويته السياسية التي التهمها السلطوية القارحة في الفترات السابقة. ورغم فداحة الانكسار ومرارة طعم الهزيمة على الشفاه، إلا أنها بداية الأمل في شعب شعر الجميع وعلى رأسهم عبد الناصر أن إرادته وقدرته على الفعل السياسي لم تمت أبدا. ففي مظاهرات التنحي في ٩ يونيو "كان القرار الجماعي الإجماعي من قبل الجماهير الهائلة في الشارع، استعادة عبد الناصر للحكم بغية عدم الاستسلام أمام المحتل الإسرائيلي، وإعادة تنظيم البلاد لمواجهته. أصبح المحكومين في غمضة عين، شعباً من جديد. استعادوا استقلاليتهم الذاتية التي ولدت في ١٩١٩، ثم قمعت من بداية العهد الناصري. عبّروا عن إحساس جماعي، صادر من دفين أعماقهم — وتحول إحساسهم إلى قرار سياسي حاسم، أجبر عبد الناصر على التراجع عن استقالته.. استعاد عبد الناصر بعدها مقاليد الحكم، إلا أن هذا الحكم لم يعد كما كان. تغيرت في ظله علاقة القوى بين المحكومين والحاكم. ففي ٢٣ يوليو ١٩٥٢ تولى عبد الناصر السلطة عن طريق انقلاب عسكري، ثم أسّس نظامه على نفي الإرادة الشعبية المستقلة، أما في ٩ يونيو ١٩٦٧ عاد إلى الحكم بناء على قرار فرضته تلك الإرادة الشعبية المستقلة. في ٩ يونيو، انهار المبدأ الذي يرى السيادة الوطنية لا تستقيم إلا في كنف نظام فردي مطلق، يستبعد الجماهير تماماً عن القرار السياسي.

في تلك الليلة، انبثقت السيادة القومية من أعماق الشعب نفسه، لتعلن رفضاً مزدوجاً للهزيمة وللنظام الذي أدى إليها". رغم هذا، وفي الشهور التي تلت عودة ناصر، ظل المصريون طوال هذه الشهور، مبعدين تماماً عن صياغة القرار السياسي، غير مطالبين بأي مبادرة، بل ممنوعين منها. فما من الجماهير إلا أنها عبرت عن عضبها في انتفاضتي فبراير ثم نوفمبر ١٩٦٨- مظاهرات الطيران كما سميت وقتذاك. مع وصول السادات للسلطة شهدت المعادلة الاجتماعية تغيرات هيكلية "أعاد السادات تشكيل الطبقة الوسطى، فأخذ يخلع المصريين المتجذرين في وادي النيل منذ الأزل، وشجع الهجرة إلى الدول العربية المنتجة للبترول.. من زاوية أخرى دأب السادات على تشجيع التدين الشعبي، فأنشئت المساجد في كل زاوية وركن.. لقد فهم السادات أن قدرته على احتكار المبادرة السياسية تستدعي بناء آليات جديدة بين الحاكم والمحكومين، مع إعادة بعض الهيئات الوسيطة إلى الساحة السياسية، وتنويع قنوات نشر الخطاب الرئاسي. أدى ذلك أن يحيط الرئيس نفسه بجهاز أمني متخصص وكفء، ليتوقع تقلبات الرأي العام، ويتتبع التحولات الاجتماعية الناشئة، ويقمع أي حراك متجاوز. ولهذا الغرض، أسرع السادات في استكمال التوجه الذي بدأه عبد الناصر غداة الهزيمة، فجعل من وزارة الداخلية ذراع الحكم القوية، وأطال من مخالب فرعها السياسي، المسمّى أمن الدولة، الهادف إلى قمع أي تمرد من المهد. في المقابل، نزع عن الجيش أدواته القمعية التي امتلكها قبل ١٩٦٧، مبررا ذلك بضرورة تفرغ القوات المسلحة لإعادة البناء من أجل استعادة الأراضي المحتلة. على الجانب الآخر، شهدت السنوات الأولى لحكم السادات، طفرة جديدة في الوعي الذاتي الجماهيري الذي انبثق من هزيمة ١٩٦٧. تصاعد غضب الشباب من الطلبة والعمال، مطالبين بتسليح وتدريب المدنيين، وتنظيم

في طول البلاد وعرضها، لتكوين جيش احتياطي كبير يغير من موازيين القوى أمام المحتل. انفجرت مشاعر الضيق والقلق فى الجامعات والمصانع والمقاهي، لتعلو أصوات تعبر تلقائياً عن قناعة الجميع بأن الشعب قد تحمل تضحيات جمة بلا طائل، إذ أن الحكم غير مستعد لتحمل تبعات حرب شاملة. تصاعد الاحتجاج الشعبي، حتى أدى إلى انفجار مثّل أول إنذار جاد للسادات في صيف ١٩٧١ ."

أخذت الهوة تتسع بين الحاكم والمحكومين، بشكل لم تشهده البلاد منذ سنوات ١٩٥٢ – ١٩٥٤.

بدأت شرعية الحاكم تفقد بعض ركائزها. "حقا ظل السادات يتمتع بالبعد اللاهوتي للشرعية، أي شرعية الحاكم بأمر الله – التي تلصق بالشخص الشاغل لمنصب الرئاسة، بصرف النظر عن مزاياه وإنجازاته. ومن ثم حاول السادات تدعيم الوجه الأبوي لشرعيته بالخطوات التي اتبعها نحو الانفتاح الاقتصادي والتعددية السياسية. وفي الوقت الذي انسحبت فيه القوات الإسرائيلية شرق القناة في يناير ١٩٧٤، ثم صدر القانون الخاص بالانفتاح الاقتصادي في يونيو من نفس السنة، رُفع انفتاح السادات شعارا سياسيا يمثل المرحلة الجديدة. ظلت قضية تحرير سيناء قضية تشغل الأذهان والقلوب، ولكنها لم تعد مصدر الاهتمام الوحيد، إذ أخذ الحكم يعيد توجيه الأولويات اليومية للمصريين. شجعهم على السعي وراء أهداف فردية ومادية، والعمل على رفع مستوى معيشتهم.. باختصار عمل تحويل همومهم اليومية من الجبهة الخارجية إلى الساحة الداخلية، لينصب تركيز كل منهم على مستقبل عائلته بدلا من مصير الوطن. إلا أن هذا التوجه حمل مخاطر جديدة. فالأفق الذي فتحته "سياسة الانفتاح" لم يتسع بالتساوي لملايين المصريين. خلق الحكم حوافز وطموحات أعظم بكثير من قدرة الاقتصاد المصري على تحقيقها.

"الانفتاح" إلى نجاح البعض وإحباط آمال الكثيرين، أي إلى تفاقم فروق طبقية لم تشهدها مصر منذ النظام الملكي. فكانت نتيجة الانفتاح في نهاية المطاف انتقال الغضب الشعبي من الأهداف العسكرية إلى الأهداف الاجتماعية ."وأتى مبارك، وانجرف القرار السياسي باتجاه تفكيك ممنهج للقطاع العام، وما صاحبه من تغيير هائل في ممكنات القرار السياسي، انتقلت بموجبه " سلطة القرار لطبقة جديدة من المليارديرات، على رأس هيكل اقتصادي مرتبط عضويا بالسوق الرأسمالية العالمية. كما ورث مبارك من السادات مجتمعا مدنيا اكتسب هامشا من الاستقلالية بحكم سياسة «الانفتاح»، ثم أخذت تلك الاستقلالية تتسع باطراد منذ التسعينيات، نتيجة لسياسة الخصخصة العامة التي اتبعها مبارك. إذ ازدادت قبضة الطبقة السائدة الجديدة على آليات الاقتصاد والسياسة، أخذ رئيس الدولة يفقد تدريجيا هيمنته على الكيان الاجتماعي. عمل مبارك على تعويض ذلك السقوط، قدر المستطاع، بتقوية مستمرة وممنهجة، يشوبها التوجس، لأجهزة التخابر، والأمن والقمع. ويجب ألا تغيب عنا حقيقة أن البلاد ظلت طوال ثلاثين عاما، وهي فترة عهد مبارك، يحكمها قانون الطوارئ فالدولة، في واقع الأمر، «دولة خارج القانون»، تسمح لرئيسها بالالتفاف على أي موقف وفقا لمصلحته. واكب حكم مبارك، توسعة هائلة لصلاحيات كوادر وزارة الداخلية، وطفرة واضحة في دقة مهامها التخصصية زاد عدد أفرادها من مائة وخمسين ألفا في ١٩٧٤، لأكثر من مليون في ٢٠٠٢، أي من ٩٪ إلى ٢١٪ من إجمالي موظفي القطاع العام. مضافا إليهم خمسة وأربعون ألف مجند، يستبدلون في تجنيد إجباري كل ثلاث سنوات، فضلا عن عدة مئات الآلاف من العملاء المساعدين. في ٢٠١٠، بلغ عدد أفراد العاملين في الوزارة، بشكل مباشر أو غير مباشر، حوالي مليوني فرد.

إذا نسب إلى تعداد السكان الإجمالي الذي ناهز في مصر حينذاك ٨٥ مليون نسمة، فاق هذا العدد، ببعيد، عدد أي بلد آخر، بما في ذلك أكبر الدول وأكثرها سكانا ."
كانت الأداة الأمنية وسيلة السلطة زمن مبارك، لاختراق التركيبة الاجتماعية والسياسية بالأساس، بغية إعادة هندستها وفق أبجديات السلطة. "استخدمت الداخلية أساليب متعددة ومتنوعة، لاختراق المجتمع المدني في أصغر أركانه، من المراقبة – لقياس نبض الأحداث بشكل مستمر، والتجسس – لمنع مبادرات التغيير متى ظهرت، إلى الترويع – لردع أي تمرد في بدايته. حضرت الوزارة في كل مكان، بصفتها أداة قمع مباشر، تكسر أي حركة عصيان، أو إضراب، أو تمرد، في الجامعات، والمصانع، والشوارع، في المدن كما في القرى. وظفت الوزارة فرقا متخصصة للترويع الجسدي، لمن تسول له نفسه الترشح للانتخابات النيابية، دون مباركة منها. تحرشت تلك الفرق بالمرشحين، وهدمت منصاتهم، وهددت نشطاءهم.. ما كانت ترمي إليه السلطة في الواقع، هو بث شعور عام، بأن الشرطة في كل مكان، وهي قادرة على أن تتصرف دون خوف من عقاب، مفوضة من الدولة وممثلة لها، في قلب المجتمع. هيئت قوات الشرطة، من هذا المنطلق، لتحطّ شأن المصريين، وتذل كرامتهم، كرعايا عليهم واجبات، وليس كمواطنين لهم حقوق. أضمرت بذلك وزارة الداخلية إيديولوجية إعادة البلاد إلى الوراء، إلى تلك الفترة التي كان الأهالي فيها رعايا الدولة اللاهوتية. أرست بذلك واقعا جديدا، تغير فيه شعار الشرطة التقليدي من «الشرطة في خدمة الشعب» إلى «الشرطة والشعب في خدمة الدولة». اعتمد الحكم، بفجاجة، مبدأ أن كل شيء يأتي من الدولة، وأن المجتمع لا يمثل سوي زائدة هامشية لها.
وهو امتداد مبتذل للمبدأ الذي أرساه عبد الناصر، ولكنه لم يعد الآن معوضا بالكرامة الوطنية، والرفاهة الاجتماعية، اللتين جسدهما عبد الناصر، لفترة وجيزة، في الوجدان الشعبي."

الثورة.. بداية الحلم ومنتهاه

كانت مصر في نهايات حكم مبارك تمور بكل العوامل التي تفضي إلى الاشتعال. "في نهاية العشرية الأولى، استحوذ القهر على النفوس، وشاعت آثاره بين الشباب. انتهى كل حديث إلى حقيقة مريرة، بأن الدولة ما عادت ملاذا يستعان به، وأنهم يواجهون مستقبلا مسودا. وسوف تأتي شرارة الثورة من كتلة حرجة، نبعت من هؤلاء الشباب . وأطلق عليها لاحقا «شباب التحرير» – لتعطي هذا التوجس دلالة هجومية وصيغة معادية للسلطوية. إنها متمردة على الأبوية، في مظاهرها كافة، بدءا من رفضها لهيبة رب الأسرة في الحلقة المنزلية، حتى لفظها لصورة الحاكم الأبوي على قمة السلطة، مرورا باحتقارها للبديهيات الاجتماعية وكراهيتها القطعية لأجهزة الأمن، باعتبارها الوجه القمعي السافر للتسلط. نشأ أغلبهم في الطبقة الوسطى (بمختلف قطاعاتها، من فئاتها الدنيا، عسيرة الحال، وصولا إلى صفوتها، الميسورة نسبيا). وتمتعوا باستقلالية ذاتية وفردية ساطعة، اقترضت رصيدا ثقافيا (دراسة ثانوية، وغالباً جامعية)، ودخلا يسمح لهم باهتمامات تفوق سد الرمق. تحدث كل منهم بصفته الشخصية، متحملا كامل مسئولية أفكاره وأفعاله. لم يخش التميز، ولا الخروج على العرف الاجتماعي، ومع ذلك فلم يستكن إلى أنانية عقيمة، بل دمغ دوره الفردي في قلب الفعل الجماعي، فلم ينصهر في الجماعة، بل أضاف نصيبه من الحرية المسئولة إلى حرية الجميع. كان هؤلاء الشباب مسافرين دون متاع مذهبي. أخذوا يحلمون بالحرية والعدالة، دون تصور واضح لشكل النظام المرتجى في مصر، في بداية القرن الواحد والعشرين. ظلت خريطة المسار بالنسبة إليهم صفحة بيضاء. وإن كانوا يجهلون إلى أين يفضي تمردهم، فهم يعرفون بالفطرة من أين يبدأ. يبدأ بتعيين هدفهم المباشر – جهاز أمن الدولة. فهو يمثل الأداة المباشرة، والمتفشية في كل مكان، لخنق التعبيرات الحرة النابعة من المجتمع. بحيث تماثل النظام في الأذهان مع جهاز أمن الدولة، وترادف لفظ «الشرطة»، مع لفظ «الحكومة» على ألسنة الناس ."تسارعت وتيرة التعبئة الشعبية ضد السلطات، اعتبارا من يونيو ٢٠١٠، إثر مقتل خالد سعيد. وفي الحدث الثوري الهائل في ٢٥ يناير، لم يكن المميز فيه

الانتفاضة الثورية التي أجبرت رأس السلطة على الانصياع لرغبتهم بالتنحي، بل كان المثير؛ ظهور جسد جماهيري جديد، يملك وعيا جماعيا، بضرورة أن تتاح الفرصة لعملية إعادة هندسة معالم الفضاء السياسي، حتى يكون كيان سياسي تعود السيادة فيه نصا وفعلا وقانونا لصاحب السيادة الأصلي ومانحها الأزلي؛ الشعب المصري. في تلك الأيام السعيدة – وما أقلها – في تاريخ الوطن، "أصبح لفظ ثورة بمعانيها المتعددة، موضوع آلاف بل ملايين المناقشات التي ملئت النفوس قبل العقول، فالمعنى الذي اعتمده النظام الناصري منذ ستين عاما، كأمر مفروغ منه – معنى استيلاء الجيش على السلطة، وقيامه بإصلاحات مفروضة من أعلى – أمسى مرفوضًا تمامًا. أعيد تعريف الثورة تحت خيمة الميدان. فالثورة هي شعب يحرّر نفسه بنفسه. كي نقيم هذا الحدث التاريخي، يكفي أن نقارن بين لحظتين فارقتين: يونية ١٩٦٧: استعادت القوى الشعبية الطليعية قدرتها الموحّدة على المبادرة، لإعادة جمال عبد الناصر إلى الحكم. فبراير ٢٠١١ استجمعت القوى الشعبية الطليعية قدرتها الموحدة على المبادرة، لإسقاط حسني مبارك من الحكم. غيّرت القوى الحيوية للشعب، بين هاتين اللحظتين، رؤيتها الشاملة للحكم. أنهت عهد "الريس" الذي جسد الصور الثلاث للشرعية المقدسة – الحكم بأمر الله، الزعيم الوطني، الأب الروحي للمصريين. قضت بذلك على إرث دام خمسة آلاف سنة، تتالت أثنائها أوجه الحكم المطلق المقدّس كافة – من الفراعنة والأباطرة والسلاطين، حتى الملوك والرؤساء الفرديين. هكذا تحررت من الأغلال الذاتية الوجدانية، التي طالما كبلّت حركتها المستقلة، وجعلتها تطيع حكامًا مطلقين، فتذعن نفسياً لمبدأ استعبادها. وبذلك حررت بقية الفئات الشعبية، وإن كان بدرجات متفاوتة، من التبعية الذاتية والتواكل السياسي. طمحت إلى أن يكون الحاكم، منذ ذلك الحين، مجرد وكيل لمحكوميه ومسئول أمامهم. بعبارة أخرى، طمحت إلى أن تنتقل السيادة من الحاكم إلى المحكومين، أي أن يصبح أخيرا أفراد الشعب المصري مواطنين لا رعايا ."كانت الخلاصة الثورية التي تمخض عنها زلازل ٢٠١١، أن "سرى الإدراك بأن الفئات الطليعية للشعب تستطيع أن تشكل كتلة حرجة، حاسمة سياسيًا، إذا وجدت الشعارات التي تمكنها من تجميع صفوفها وتوحيد إرادتها.

انتزعت بذلك المبادرة الاستراتيجية من الحاكم. أصبحت هي التي تخلق الحدث، والحاكم هو الذي يلهث وراءها، حيث فوجئ بوضع لم يتصوره، ولم يتمكن من فهمه، فاضطر للتعامل معه بردود أفعال مستفزة، زعزعت من سلطته، وأجبرته على الانحناء في نهاية الأمر". وهذه هي ببساطة المعادلة الكفيلة بإعطاء أي حراك ثوري دفعة هائلة للأمام "إذا تحرر المحكومين من تقديسهم للحاكم، تحولت طبيعة علاقتهم بالوطن. فقد ظلت هذه العلاقة منذ مولد الهوية الوطنية، علاقة ملتبسة، مشبوهة بتقديس الزعيم الوطني. إذ جسد الزعيم وحدة الكيان الوطني. وهكذا ساعدت الفئات الشعبية الطليعية، أي "أهل الميدان"، ملايين من المصريين الآخرين، كانوا حتى ذلك الحين في حالة من السلبية السياسية المتأصلة، على أن يتخلصوا بدورهم من التبعية الذاتية للحاكم. اتسعت رقعة الجماهير الشعبية التي أخذت تؤمن بأن شرعية الحكم لا تنبع من مصدر سامٍ، بل من رضا المحكومين أنفسهم. خلق الميدان خيالًا شعبيًا جديدًا، يطمح إلى صورة حديثة للحكم، حيث تكمن السيادة، لا في الحكّام، بل في المحكومين، فتتحول العلاقة بينهم إلى علاقة تعاقدية حرة."لكن كانت النهاية لهذا الحلم الطوباوي، حينما ساد الإدراك أن "الحاكم الفردي إن هو إلا مجرد، الوجه الظاهر لنظام اجتماعي واقتصادي متكامل، مرتبط عضويا بمصالح محلية وإقليمية ودولية، ومرتكز على أجهزة بيروقراطية، إدارية وقمعية. لقد قوض أهل التحرير هذا النظام، وزعزعوا أركانه، بالقضاء على الصورة المقدسة للحكم، ولكنهم لم يمتلكوا القدرة السياسية والتنظيمية على إحداث تغيير جذري لبنيته، ورعادة تشكيلها، على أسس تسمح برسم صورة جديدة للحكم. أدى ذلك إلى خيبة أمل كبيرة". ويمكن أن نختم هذه القراءة لهذه الدراسة الرصينة، كانت رحلة طويلة خاضتها الكتلة الفاعلة من النسيج السياسي. حاولت دراسة محمود حسين خلالها تتبع مسيرة الوعي الجماعي للمصريين في العصر الحديث، و ردات فعل السلطة وتفاعلها مع هذا الوعي. مسيرة طويلة للعبور بين حدين بينهما صامت وراكد، من كونهم رعايا إلى مواطنين. فهل لا يزال هذا أفق هذا الحلم الأزلي مفتوحا ؟!

سيلڤا كابوتيكيان
(شاعرة كل الأرمن)



بقلم: عطا درغام

جاءت الشاعرة الوطنية المثقفة الشجاعة إلى المجال الأدبي في أصعب حقبة في تاريخ الأدب الأرمني، والتي كانت مليئة بالنضال، ولكنها كانت أيضًا مثمرة بنفس القدر، عندما حاولت الحياة الأدبية والاجتماعية تضميد جراح الحرب، سنوات مع قصائد النصر المجيد.

فتاة صغيرة تُدعى "سيروارد"، وُلدت في يريڤان عام ١٩١٩م ، - أي بعد أربع سنوات فقط من الإبادة الأرمنية الكبرى- ، في عائلة "لياڤارد" و "باروناك كابوتيكيان"، وكان مُقدرًا لها أن تُصبح فيما بعد "شاعرة كل الأرمن" بقلمها الموهوب؛ واستطاعت صُنع تاريخها الخاص المليء بالمآسي، وقدمت قصائد رائعة. وهي أيضًا زوجة الشاعر الكبير "هوڤانيس شيراز" وأم النحات الشهير "آرا شيراز."ألفت "سيلڤا كابوتيكيان" أكثر من ستين كتابًا مُترجمًا إلى العديد من لغات العالم، وكثيرًا ما تناولت في قصائدها موضوعات الحب والوحدة الأنثوية والوطنية والتضحية بالنفس، معبرةً عن كل المرارة والألم الذي حلَّ بالشعب الأرمني. "سيلڤا كابوتيكيان" المرأة التي تقف على أعتاب التسعين لم تعد تخاف عندما يذَّكرها الناس بعمرها، بل أصبحت فخورةً، لأن مثل هذه المرأة لا يمكن وصفها بأنها موهوبة وذكية فحسب، بل حكيمة أيضًا، لذا من أجل هذا وحده، تستحق العيش حتى تسعين عامًا بالإضافة إلى يوم واحد.

استطاعت جدة سيلڤا من مدينة "ڤان"، النجاة من

(سيلڤا كابوتيكيان ١٩١٩-٢٠٠٦)

الإبادة الجماعية، ووجدت ملجأً في أحد منازل يريڤان في شارع "أميريان". كانت لديها أربع بنات، كبيرتهم والدة سيلڤا، تزوجت من "باروناك كابوتيكيان"، أحد قادة حزب "الطاشناق" ورئيس تحرير صحيفة الحزب، الذي تُوفي في نهاية عام ١٩١٨، بسبب الكوليرا دون أن يرى ولادة ابنته، ومع ذلك، فقد نجا من الإخوة الذين دعموا سيلڤا من الخارج طوال حياتها، وكان علي الأسرة أن تقاوم الظروف الصعبة، فعاشت الأسرة بشكل متواضع، وعملت الأم كمحاسب، وقامت جدتها بتربية الفتاة، والتي على الرغم من القدر، كانت قادرة على الاحتفاظ بالحب تجاه الناس. درست سيلڤا بكلية الفلسفة الأرمنية بجامعة "يريڤان" الحكومية من عام ١٩٣٦ حتى تخرجها في عام ١٩٤١، وبعد ذلك درست في "معهد چوركي للأدب العالمي" التابع لأكاديمية العلوم السوڤيتية

من ١٩٤٩إلى ١٩٥٠، وانضمت إلى الحزب الشيوعي للاتحاد السوڤيتي عام ١٩٤٥.

ومن دون أن تطوي الصفحات غير المكتملة من حياتها الشخصية، ومع ذلك تمكنت "كابوتكيان" من أن تأخذ نصيبها من هموم الناس على أكتافها الأنثوية الهشة وتعيش حياتها، أن تكون شاعرة وشريكة حياة الشاعر الكبير "هوفانيس شيراز"، ووالدة النحات "الشهير آرا شيراز"، وأن تكون ببساطة أمًا سعيدة لأسرة مكتملة الأركان، مليئة بالحب والحنان؛ فليس من السهل الجمع بين كل هذا لشخصية تفسح المجال لموجات الجمهور القوية، التي تكافح ضد المنحدرات القادمة وتغزو المرتفعات.

انتهت مسيرة "سيلڤا كابوتيكيان" في مستشفى "يريڤان" ، إذ توفيت في الخامس والعشرين من أغسطس ٢٠٠٦ خلال عملية جراحية جراء كسر في الساق، وتم نقل نعشها إلى "كوميتاس بانثيون" المرموق.

النشاطين السياسي والاجتماعي

انتمت "كابوتيكيان" إلى طبقة فريدة من نوعها من المثقفين الأرمن ظلت طيلة عقود يقيمون حدًا يفصل بين القومية الأرمنية والأممية السوڤيتية الرسمية، وفي جميع المسائل السياسية التي تتعلق بالشعب الأرمني، كمسألة كاراباخ، وقضايا الإبادة الجماعية وغيرها من الأمور التي تشغل الشعب الأرمني، فقد تحدثوا باسم شعبهم وعبروا عن أفكاره، مع المحافظة في نفس الوقت على مكانتهم الجيدة مع موسكو، فكانوا جزءًا من النخبة المفكرة السوڤيتية، ولقد أشارت "كابوتيكيان" إلى دور أرمينيا السوڤيتية كمركز للأمة الأرمنية، في حين كان الشتات الأرمني أمرًا ثانويًا بالنسبة لها، وكذا كانت مُناصرة كبرى للناشط الحقوقي الروسي البارز "أندريه ساخاروف" ولقبته "بضمير الشعب السوفيتي".

الكفاح المسلح الأرمني

في ثمانينيات القرن الماضي، سُئلت "كابوتيكيان": "عما إذا كانت العمليات المسلحة والتفجيرات يمكن أن تشوه سمعة الأمة الأرمنية في أعين العالم"، وكان ردها مماثلًا لآراء العديد من المراقبين الأرمن : "وهل البقاء ساكناً، مناشدة القوى المخلصة للإمبراطورية الدفاع عن القضية الأرمنية بالنيابة عنها، التذلل على أقدامهم يرفع من شأن أمتنا؟ "، وفي عام ١٩٨٣ نظمت قداسًا للفون أكماكيچيان سمته " قداس الليل " ، تم نشره لأول مرة في عام ١٩٨٧ وكان واحدًا من المرتكبين الرئيسيين لهجوم مطار "أسانبوچا الدولي عام ١٩٨٢، الشيء الذي شُنق بسببه في تركيا في ٢٩ يناير ١٩٨٣، وكانت سيلڤا من بين المفكرين الأرمن الذين أعربوا عن دعمهم لـ"فاروچان جارابادچان"، الذي أطلق سراحه من سجن فرنسي في عام ٢٠٠١، ورحل إلى أرمينيا في العام ذاته.

كابوتكيان تحمل لواء المعارضة

في عام ١٩٩٦، كانت "كابوتكيان" ضمن أربعة عشرة مثقفاً وقعوا رسالة مفتوحة طالبوا فيها المدعي العام "أرتاڤزاد چيفورچيان" باتخاذ إجراءات ضد وزير الدفاع" ڤازين سركسيان"، الذي صرَّح عند نهاية الانتخابات الرئاسية لعام ١٩٩٦ بأن وزارته لن تعترف بقادة المعارضة. "حتى لو فازوا بنسبة ١٠٠ بالمائة من الأصوات"، وكانت كابوتيكيان معارضة لحكومة رئيس أرمينيا الثاني المستقل "روبرت كوشاريان" ؛ ففي ١٤ أبريل ٢٠٠٤، كتبت رسالة بعنوان "كوشاريان يجب أن يرحل" دعته فيها إلى الاستقالة، ونددت بحملة القمع العنيفة التي تعرضت لها مظاهرة للمعارضة في ١٢-١٣ أبريل٢٠٠٤، أصيب فيها العشرات. و أعادت فيها ميدالية "ميسروب ماشتوتس" التي حصلت عليها في عام ١٩٩٩. وعن موقفها من قضية ضرب السياسي المعارض "آشوت مانوشاريان،: فإن "كابوتيكيان" ترى أن "

"الضرب في أرمينيا أصبح الوسيلة الأساسية للسياسة والجزء الأكثر تأثيراً في إرهاب الدولة، يجب النظر إلى جميع الحالات التي استُخدمت فيها القوة من هذا المنطلق". وبالنسبة لمجلة أرمينيا الآن فإنها "شخصية معارضة". وفي سلسلة كتاباتها التي تظهر مواقفها السياسية معبرة فيها عن صوت الشارع الأرمني، فهي ترى أن سياسيًا مسؤولًا كان ليستقيل بعد إطلاق النار الذي تم في عام ١٩٩٩ في البرلمان الأرمني الذي اغتيل فيه رئيس الوزراء "ڤازين سركيسيان" ورئيس البرلمان "كارين ديميرشيان"، مع آخرين، وردًا على هذا الموقف، ذكر "كوشاريان" أن ميدالية "ميسروب ماشتوتس" ليست ميداليته، وإنما ميدالية جمهورية أرمينيا، وأضاف أنه يأسف لكيف ترى كابوتيكيان "جوهر دولتنا" ولا تساهم في "احترام أمتنا لتعليم جيل الشباب."

التلوث البيئي: إبادة أخري

في أكتوبر ١٩٨٧ شاركت "كابوتيكيان" في مظاهرة نظمها "زوري بالايان"، وطالبت السلطات بإغلاق جميع المصانع الكيماوية في أرمينيا محذرة : " لا تدع الإبادة الجماعية الحمراء تتبعها هذه الإبادة الجماعية غير المرئية! "، وفي اجتماع ٢٦ أبريل ١٩٨٨ في مقر اتحاد الكتاب في "كييڤ" ، تمت قراءة برقية "كابوتيكيان" : "التعبير عن التضامن في الحزن"، واحتفالاً بالذكرى الثانية لكارثة " تشرنوبل". وفي يناير ١٩٨٩ أكدت "سيلڤا" أنه يجب إغلاق "محطة ماتسامور للطاقة النووية" في أرمينيا، واصفة أنها: " تهدد بتدمير التراث الجيني للأمة الأرمنية. "

كاراباخ: الحلم المنشود

خلال سنوات "البيروسترويكا"، لم تبق "سيلڤا كابوتيكيان" بمعزل عن التغيرات السياسية في المجتمع السوفيتي، واتخذت موقفًا نشطًا بشأن مسألة تقرير المصير لجمهورية "ناجورنو كاراباخ" ؛ ففي ٢٦ فبراير ١٩٨٨، التقت الشاعرة والكاتب "زوري بالايان" مع "جورباتشوف" من أجل إقناعه بالمساهمة في حل قضية "كاراباخ" وفصلها عن أذربيجان. ومنذ أوائل التسعينيات، بدأت "كابوتيكيان" في انتقاد سياسات السلطات الأرمنية بشكل حاد، وبعد قمع مسيرة للمعارضة في عام ٢٠٠٤، أعادت وسام "ميسروب ماشتوتس" إلى رئيس جمهورية أرمينيا آنذاك "روبرت كوتشاريان."وكانت "كابوتيكيان" واحدة من أوائل قادة حراك "كاراباخ" السياسي، إلى جانب "زوري بالايان" وإيچور مراديان. ووفقاً لـ"ليڤون تير بتروسيان"، أول رئيس لأرمينيا وزعيم لجنة كاراباخ فيما بعد، فإن "كابوتيكيان"، و"بالايان"، و"مراديان"، وناشطين آخرين انضموا إليهم وشكلوا "لجنة كاراباخ الأولى"، التي كان لها هدف واحد فقط تمثل في توحيد منطقة " ناجورنو كاراباخ " المأهولة مع أرمينيا السوڤيتية برعاية النظام السوڤيتي، وكذا طرح قضايا لم يكن لها وجود، مثل الديمقراطية أو استقلال أرمينيا.

الإبادة الأرمنية في الذاكرة

وعن موقف "كابوتكيان" من الإبادة الأرمنية، فقد كانت داعية لفكرة "الانتقام السلمي" ؛ و كتبت تقول في كتاب "تأملات وسط الطريق"، عام ١٩٦١: " يجب عليك الانتقام من خلال الاستمرار في الحياة "، وفي الرابع والعشرين من أبريل ١٩٦٥، في الذكرى السنوية الخمسين لإبادة الأرمن، شاركت في مظاهرة حاشدة في "يريڤان"، وتحدثت فيها مع الشاعر الشهير "باروير سيڤاك"؛ فذَّكرت في خطابها بالمفكرين الأرمن الذين تم ترحيلهم وقتلهم في عام ١٩١٥، ونتج عن المشاركة دعوتها هي و"سيڤاك" إلى موسكو. كما انتقدت "كابوتكيان" القيادة السوڤيتية لسياساتها المتعلقة تجاه هذا التجمع لإحياء ذكرى الإبادة الجماعية مقارنة بينه و" الاحتفالات غير المقيدة " في الشتات الأرمني ، وفي عام ١٩٦٦ شجَّعت على التظاهر بسبب استقلال

الحكومة الأرمينية السوفيتية.

وبعد ذلك، كانت ترتدي رداءً أسود، كرمز للنقاء والحزن الذي لا حدود له، والذي تجاوز كل الحدود، ربما جزئيًا، بسبب الحظر البلشفي على موضوع الإبادة الجماعية. كانت – سيلفا رمزًا للأمل في النهضة. ومنذ ذلك اليوم الذي لا يُنسى ، ووصفها الصحفي الأرمني "إيمانويل دولباكيان" في أحد أعماله بأنها :" أصبحت بالنسبة لي رمزاً للأم أرمينيا". وقال رئيس أرمينيا السابق "روبرت كوتشاريان": "سواء في الداخل أو في الشتات، فهي تحظى بشعبية كمثقفة تشعر بالقلق إزاء مصير بلدها وشعبها."



ولم تكن قصائدها عن الحب أقل شعبية، بالنسبة للشاعرة نفسها، كان هناك ارتباط وثيق بين هذين الموضوعين:

مَوقِدي هو أرمِينيا، أنتُم بيتي وعائلتي.
شكرًا لك! لا أشعر باليتيم معك.
أشكرك على إنقاذي وعدم السَّماح لِي بِفَقد
حَرارِتي الرُّوحِية وقوتي الأنثوية وشغفي.

اللغة الأرمنية

إذا فنيت اللغة، تفنى القومية معها، وفي التاريخ شواهد الصدق، فهو يقول:" إن أول ما يكون هلاك اللغة أن يتخللها دخيل لغة أخرى، فيحمل معه إلى نفوس أهلها طبائعًا غير طبائعهم، وعادات غير عاداتهم، وآدابًا غير آدابهم" ، وكانت "كابوتكيان" من أشد المدافعات عن اللغة الأرمنية وعن الحقوق الوطنية، وتطلعات الشعوب غير الروسية في خطاب نُشر في "ساميزاد" في ١٩٦٥-١٩٦٦، و في عام ١٩٨٠ عبَّرت عن قلقها من شعور الآباء الأرمنيين بالإجبار على إرسال أطفالهم إلى مدارس اللغة الروسية لتوسيع فرصهم المهنية ،وفي مايو ١٩٨٧، كانت أول غير روسية تنشر مقالًا في "براقدا" حول القضايا القومية، انتقدت فيه الحكومة السوفيتية "لتوسيعها نطاق استخدام اللغة الروسية بشكل مجحف على حساب ثقافة الأرمن، واقترحت بشكل غير مباشر أن "الشوفينية الروسية " سبب تشويه العلاقات بين شعوب الاتحاد السوفيتي، وأضافت: " مع مرور كل عام، يتقلص مجال لغتنا الأم في أرمينيا، الوطنية الحقيقية المستوحاة من تاريخ الشعب وثقافته درع موثوق لحماية الشباب من التأثيرات الخارجية الغريبة".

النشاط الأدبي

بدأت "سيلفا كابوتيكيان" مسيرتها الأدبية في سن الرابعة عشرة، عندما نشرت أول قصيدة لها في عام ١٩٣٣، ومن المرجح أن حب الشعر انتقل إليها من والدها.

ومنذ الطفولة أظهرت اهتمامًا خاصًا بالأدب، وتم انتخابها عضوًا في اتحاد الكتاب في أرمينيا في عام ١٩٤١، وصدرت مجموعتها الشعرية الأولى "في هذه الأيام" عام ١٩٤٥، وتلاها ديوان "أقاربي"، و"الطريق الجيد"، و"محادثة صريحة"، و"يوم قلق"، والتي جلبت لها شهرة كبيرة. عُرفت "سيلفا" بالتزامها بموضوعين رئيسين في أعمالها هما الهوية القومية والشعر الغنائي؛ فأصبحت قصيدتها المعروفة، «كلمة لابني»، نصًا عامًا عند الإشادة بالهوية الوطنية الأرمنية. وتقول الأبيات الأخيرة :

انظر، يَا ولدي، أينما كُنت
أينما ذهبت تحت هذا القمر
حتى إذا نسيت أمك
لا تنسى لغتك الأم.

وما بين عامي ١٩٦٢ و ١٩٧٣ سافرت إلي جميع أنحاء مجتمعـات الشـتات الأرمـني في الشـرق الأوسـط (لبنـان وسـوريا ومصـر) وأمريكـا الشـمالية (الـولايات المتحـدة وكنـدا). وفي عـامي ١٩٦٤ و ١٩٧٦، كتبـت الشـاعرة كتـابين ضـخمين مـن مـذكرات سفرها، أحـدهما بعنوان "القوافل لا تـزال تسير"، تـروي فيهمـا زياراتها إلى المجتمعـات الأرمنيـة في الشـرق الأوسـط ، والتقـت فيهـا ببعض النـاجين مـن الإبـادة الجماعيـة وأحفـادهم. والآخـر" فسيفساء زهور الروح والخرائط" – قصص عن المجتمعات الأرمنيـة في أمريكـا الشـمالية، ومثلـت في هـذا الكتـاب حنين أرمـن الشتات، وأحلامهـم لأرمينيـا، ومـن الصعب المبالغـة في تقـدير الـدور الـذي لعبـه هـذين الكتـابين في الحيـاة الروحيـة للشـعب الأرمـني، وخاصـة الأرمـن في الشتات.

وكتبت أيضًا " أوريري وآخرون"، و"على ضفاف زانجو"، و"هذا بلدي"، و"أقاربي"، و"محادثة القلب"، و" تأملات في منتصف الطريق "، والمذكرات، ومجموعـات الأطفـال، والأعمـال الدراميـة "كرونـك، و" أوسـتي چوكـاس"، و" أنـت بروتـوس"، والترجمـات والعديـد مـن المقـالات الصحفية والخطب، بالإضافة إلي كفاحها الـدؤوب لمنح اللغة الأرمنية مكانة لغة الدولة، وأنشطتها النشطة خلال معركـة تحرير كاراباخ والنضال مـن أجل استقلال أرمينيا هي دليل رائع على ظهور الشاعرة المثقفة الصادقة.

وركـزت كتبهـا في الستينيات والسـبعينيات علـى تاريـخ الشـعب الأرمـني ومستقبله، والـذي صورته دائمًـا بصـور متفائلة، كما اهتمت بأدب الأطفال ؛ فكتبت لهم العديد مـن القصـائد. كانـت قصائدها قصائد امرأة حقيقية، مليئة بالمشاعر والعاطفة والتجارب، وهي مؤلفة لأكثر من ستين كتـابًا، ترجمـت أشـعارها إلى اللغـة الروسـية بواسـطة "بولات أوكودزهاڤا"، و"يونا موريتز"، و"بيلا أحمدولينا"، ونُسخت هـذه القصائد يدويًا بواسطة تلميذات وطلاب في السـتينيات والسـبعينيات مـن القـرن الماضـي في دفـاتر ملاحظـات عزيـزة، والآن هنـاك خـبراء في فنهـا. تميـز شـعرها بالرقـة، و أيضًـا بالقسـوة، والطـابع الأنثـوي، ولكـن قـويًا أيضًـا، ولقـد أشـار الناقـد الأدبي "ڤاهـاجن داڤتيـان" كنـت مفتـونًا دائمًـا بالانسـجام المذهل لقلب الشاعرة وأفكارها

جـاءت كلماتهـا رقيقـة وهشـة، ولكنهـا لا تتزعـزع وفخـورة، مثـل الشـاعرة نفسـها. ومـن هـذه القـوة الداخليـة العظيمـة ولـدت كلمـات "كابوتيكيـان" المدنيـة والوطنيـة، والـتي وصلـت مـن أعمـاق التـاريخ إلى العصـر الحـديث ، وتظهـر روائـع أعمالهـا الوطنيـة في "تأمـلات منتصـف الطريـق" و " أرارات سـيمفونية " بشـكل أفضـل الخيـال الفـني للشـاعرة وعمـق تفكيرها.

حـتى لـو كانـت "كابوتكيـان" الـتي لا تعـرف الكلـل قـد كتبت قصيدة واحـدة فقـط هـي "كلمـة إلى ابني" لكانـت قـد اكتسـبت شـهرة بهـذه وحـدها ،إلا أن موهبتهـا ولَّـدت أعمـالاً وطنيـة وغنائيـة رائعـة للأطفـال، وترجمـات مـن الكلاسـيكيات الروسـية والعالميـة، وحـتى الأيام الأخـيرة مـن حياتهـا، عملـت، ولم تتخل أبدًا عن مبادئها في العيش والإبداع.

التقدير الأدبي والجوائز

ووفقًـا لـ "ويكيبيـديا" تعتـبر "كابوتيكيـان" مـن بـين النسـاء الأرمـن الأكثـر شـهرة في التـاريخ ؛إذ أُدرجـت قصـائدها في بـرامج أدب المدرسـة، وغالبـاً مـا يُشـار إليهـا في الأوسـاط الأرمنيـة باسـم "شـاعرة كـل الأرمـن"، وهـو تلقيـب يشـبه لقـب "شـاعر جميـع الأرمن" الممنوح لـ"هوڤانيس تومانيان."

ووصـفت في بيـان صـحفي للحكومـة الأرمنيـة عنـد وفاتهـا علـى أنهـا "واحـدة مـن أبـرز الشـعراء الأرمـن في القـرن العشـرين"، وذكـرت جريـدة "أراڤـوت"

في عام ٢٠٠٤ أنها "الأخيرة من نوعها".

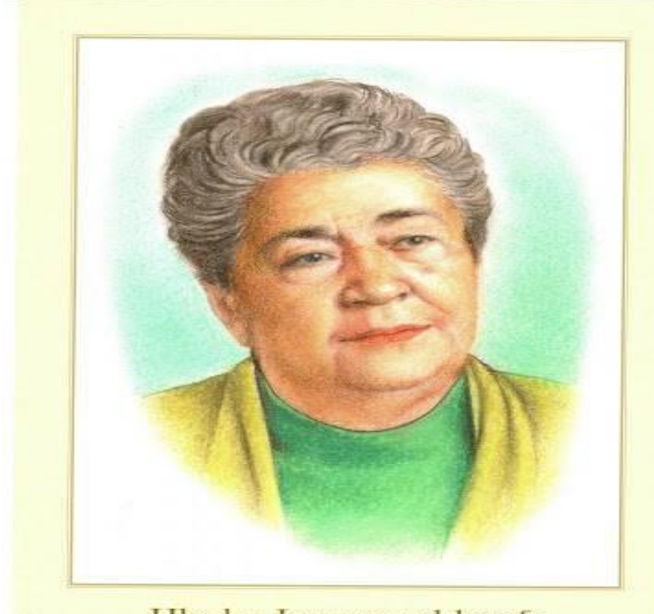
وفي عام ١٩٨٩، وصف الصحفي والمحلل السياسي "بوهدان ناهايلو" سيلڤا كابوتكيان كواحدة من "الشخصيات الثقافية غير الروسية التي تحظى باحترام كبير". وفي الاتحاد السوڤيتي في حفل استقبال أُقيم في الكرملين في فبراير ١٩٨٨، قال السكرتير العام السوڤيتي ميخائيل جورباتشوف فيه:" إن زوجته، رايسا، معجبة كبيرة بشعر كابوتيكيان"، وكذا سُميت مدرسة في يريڤان على اسمها تيمنًا بها في عام ٢٠٠٧، وفي ٢٠ يناير ٢٠٠٩، في الذكرى ٩٠لميلادها، تم افتتاح متحف منزل "سيلڤا كابوتيكيان" في "يريڤان" بحضور الرئيس "سيرچ سركسيان" وابنها "أرا"، وحمل الشارع الذي يقع فيه المتحف اسمها.

ولأكثر من نصف قرن، كان كل تلميذ أرمني، بالكاد يتقن الأبجدية الأصلية، يحفظ قصيدة "سيلڤا كابوتيكيان": "اسمع يا بُني". هذه الشاعرة، التي سمعت أعمالها باللغة الروسية في الترجمات الأدبية التي قام بها "ب. أوكودزهاڤا"، و"إي.يڤتوشينكو"، و"ب. أحمدولينا" وآخرون، ساهمت بشكل كبير في تطوير الأدب الأرمني وتعزيز العلاقات الثقافية بين شعوب الجمهوريات السابقة من اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤيتية.

الجوائز

حصلت "سيلڤا كابوتيكيان" خلال حياتها الطويلة، التي استمرت ٨٧ عامًا على العديد من الجوائز والألقاب، ومن هذه الجوائز جائزة ولاية اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤيتية (١٩٥٢)، ووسام العمل الشجاع في الحرب الوطنية العظمى ١٩٤١-١٩٤٥، وميدالية العامل المخضرم، ووسام الراية الحمراء من حزب العمال (١٩٦٩)، ووسام الصداقة بين الشعوب (١٩٧٩)، ووسام ثورة أكتوبر (١٩٨٤)، وجائزة اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية الأرمنية (١٩٨٨)، وتكريم عامل ثقافي من ولاية اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية الأرمنية (١٩٧٠)، وتكريم العامل الثقافي، وجائزة اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤيتية الأرمنية الجورجي (١٩٨٢)، وميدالية ميسروب ماشتوتس (١٩٩٩) من قبل الرئيس "روبرت كوشاريان" ، ووسام الأميرة أولچا (أوكرانيا، ١٩٩٩) من قبل الرئيس "ليونيد كوتشما."

وقد رسم رسام الكاريكاتير "ألكسندر صاروخان" سيلڤا كابوتكيان في كاريكاتير عام ١٩٦٣، وقد تم الاحتفاظ به الآن في المتحف الوطني في أرمينيا، وفي عام ١٩٩٢، ظهرت كابوتيكيان في الفيلم الوثائقي "باراچانوچ : الربيع الأخير لـ "سيرچي باراچانوف"، وهو صانع أفلام من أصل أرمني كان قد تعرض للاضطهاد من قبل السلطات السوڤيتية.


Սիլվա Կապուտիկյան
1919-2006



الجرائم ضد الإنسانية والمسئولية الدولية عنها (القضية الأرمنية نموذجا)

بقلم: د. ملاك نجدى أبوضابة

نُوقشت رسالة دكتوراه فى رحاب جامعة الزقازيق – كلية الحقوق يوم الأثنين الموافق ١٨/١٢/٢٠٢٣، تحت عنوان " الجرائم الإنسانية والمسؤولية الدولية عنها: القضية الأرمنية نموذجاً" للباحث / محمد محمد سعيد حربي، وتحت إشراف الأستاذ الدكتور نبيل أحمد حلمي، أستاذ ورئيس قسم القانون الدولى العام بكلية الحقوق جامعة الزقازيق، وناقش الرسالة كل من : الأستاذ الدكتور عبدا لهادى محمد العشري، أستاذ ورئيس قسم القانون العام جامعة السادات، والأستاذ الدكتور حسين حنفي عمر أستاذ القانون الدولى العام ووكيل كلية الحقوق جامعة بنها، وقد حصل الباحث على درجة الدكتوراه بتقدير مرتبة الشرف الأولى والتبادل بين الجامعات، وإليكم عرض الرسالة.

تُعد الجرائم بصفة عامة من المهددات الخطيرة لحياة الإنسان والدول، وفي وقتنا الحاضر نظراً لتطور العلاقات الدولية وتشابكها، ظهرت الجريمة الدولية التي يتجاوز تأثيرها حدود الدولة، وتخل بالنظام العالمي ككل . فالجرائم الدولية تُعد من أشد الجرائم خطورة على المجتمع الدولي وهي المتمثلة في الجرائم ضد الإنسانية وجرائم الإبادة الجماعية وجرائم الحرب وجرائم العدوان .

وقد صدمت تلك الجرائم النظام العالمي في جوهره، والكرامة الإنسانية في صميمها، نتيجة لفداحة أفعال



تلك الجرائم التي دونت بمداد أسود في التاريخ.

مع تطور الإدراك اللإنساني أصبحت تلك الممارسات العدوانية مرفوضة في مجال العلاقات الدولية. لبشاعة تلك الجرائم وبشاعة مرتكبيها وضرورة ملاحقتهم ومحاسبتهم وفق نظام قضائي دولي، وذلك كونها جرائم متفردة بنوعها لأنها تُرتكب ضد الجماعات في وقت الحرب أو وقت السلم، وقد ظهر هذا الاهتمام بعد الحرب العالمية الثانية التي ارتكبت فيها أبشع الجرائم، وبناءً على ذلك أعدت الكثير من النصوص القانونية المعنية بالجرائم ضد الإنسانية، ومن أهم تلك النصوص هي المتمثلة في النظم الأساسية للمحاكم الجنائية الدولية المؤقتة وصولاً للنظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية الدائمة.

وتعرضت ديباجتي اتفاقيتي لاهاي (١٨٩٩، ١٩٠٧) المتعلقتين بقوانين الحرب وأعرافها النص على الجرائم ضد الإنسانية، ومنذ ذلك الحين أصبحت الجرائم ضد الإنسانية من أهم المصطلحات إثارة للنقاش بين الفقهاء

ودارسي القانون الدولي ، وتعتبر اتفاقية لندن الموقعة من دول الحلفاء ١٩٤٥ الإعلان الأول للوجود القانوني الحديث للجرائم ضد الإنسانية وعلى إثرها تشكلت محكمة نورمبرج. فاستنكر المجتمع الدولي ما ارتكبه الأتراك ضد الأرمن خلال الحرب العالمية الأولى، فكيفت أفعال القتل والتعذيب والترحيل القسري والإبادة التي تعرض لها الأرمن بأنها جرائم ضد الإنسانية، ونادى الحلفاء بضرورة محاكمة المسؤولين عن ارتكاب تلك الجرائم.

فرغم التطور الذي عرفته البشرية على جميع الأصعدة، إلا أن الإنسان مازال عرضه للانتهاكات والاعتداءات التي تمس صفته كإنسان وتهدر حقوقه، فتدارك المجتمع الدولي ضرورة وجود آليات للمسئولية الدولية عن تلك الجرائم كوسيلة للحفاظ على النظام الدولي والحفاظ على الأمن والسلم الدوليين، وذلك ما يعكس ظهور وبلورة المسئولية والعدالة كقيم دولية معترف بها فإقرار المسئولية الجنائية الدولية لم يكن بالأمر السهل لاختلاف النظم القانونية وتضارب المصالح الدولية.

والواقع أن مساعي المجتمع الدولي لن تتوقف نحو توسيع آليات ملاحقة مرتكبي الجرائم الدولية، وذلك من أجل حماية المصالح والقيم الإنسانية وكرامة الانسان وتحقيق الإحساس بالعدالة في عصر باتت الانسانية مفقودة فيه ولا يتحكم فيه سوى نظرية القوة ، ونظرة المنتصر للمهزوم فالأحداث في عالمنا المعاصر تزداد تعقيداً يوماً بعد يوم، وتتشابك الوقائع فيها بأيدٍ عنصرية أحيانا وعقائدية أحيانا أخرى ، فالمجتمع الدولي المتمدين يشاهد الجرائم ضد الإنسانية فيستهجنها تارة ويدين بعضها تارة ، ويبررها في حالات أخرى في عصر سادت فيه المصالح السياسية على حساب تطبيق العدالة.

فالقانون الدولي والأعراف الدولية فرضت بعض الالتزامات والواجبات على الدول، ولكن لم تفرض آليات حاسمة لمحاسبة الدول، إذا خرقت القواعد والأعراف الدولية في التعامل الدولي مسببه خلل في السلم والأمن الدولي فالنظام العالمي العادل لن يتحقق إلا عندما تعم العدالة على جميع البشر دون تفرقه أو تمييز بين جنس أو دين أو لون . فلا يمكن أن يتواجد السلام بدون عدل ولا يمكن وجود للعدل دون قانون يكون ركيزة له ، وأداة تشريعية دولية تقرر ما هو مشروع وما هو غير مشروع وفقاً للعدالة والإنصاف وليس وفقاً للهوى وتغليب المصالح.

وتكمن أهمية البحث في تحديد مفهوم الجرائم ضد الإنسانية وأركانها وأنواعها وتأصيل قضية الأرمن وما حدث ضدهم من جرائم ضد الإنسانية، حيث أنها تُعد من أخطر الجرائم التي عرضها التاريخ فيرجع أسباب اختيار القضية الأرمنية والجرائم ضد الإنسانية التي تمت ضدهم كونها تعد الجريمة النموذج التي تم فيها أكثر من صورة من صور الجرائم ضد الإنسانية، فتمت إبادتهم وترحيلهم قسرياً وقتلهم عمداً ووضعهم في أحوال معيشية صعبة، فبسبب القضية الأرمنية عرفنا أول استخدام لمصطلح الجرائم ضد الإنسانية.

وكذلك اكتشاف مختلف التطورات التي مرت بها الجرائم ضد الإنسانية وصورها الشنيعة و التمييز

بينها وبين غيرها من الجرائم التي تتشابه معها أو تختلط بها ، حيث لا مراء أن إقرار المسئولية الدولية عن ارتكاب الجرائم الدولية وبخاصة الجرائم ضد الإنسانية لم يحد منها ، فالمسئولية الدولية عن الجرائم ضد الإنسانية من ترحيل ومذبحة الأرمن تجد أساسها القانوني من انتهاك الحقوق الأساسية للإنسان وفي مقدمتها الحق في الحياة.

كما تتجلي أهمية البحث علي الصعيد الدولي في المرحلة الحالية بالنظر لاستمرار تركيا في عدم اعترافها بالجرائم ضد الإنسانية التي ارتكبتها في حق الأرمن وعدم تحمل مسئوليتها الدولية عن ذلك، مما يمثل انتهاكاً خطيراً للنظام القانوني الدولي ، ومن ثم يمكن القول بأن القضية الأرمنية تُعتبر قضية إنسانيَّة بالدرجة الأولى، فالقضية الأرمنية ممارسة قانونية مهدت بعد ذلك إلى محاكمات نورمبرج وطوكيو وبمناسبتها ظهر مصطلح الجرائم ضد الإنسانية وتشكلت الأفعال المكونة له من جرائم دولية فهذه القضية يجب دراستها دراسة قانونية بعيداً عن المواقف السياسية المؤيدة أو الرافضة لها، وذلك لما لها من فضل في نشأة وتطور العدالة الجنائية الدولية وظهور مصطلح الجرائم ضد الإنسانية في الممارسات الدولية ، ستبقى هذه الجريمة وصمة عار في جبين الإنسانيَّة كلها، وصفعة مدوية على وجه الضمير العالمي، الذي لم يحرك ساكنًا وظل واقفًا وقت وقوع مذبحة الأرمن ، فالقضية هنا لا تنبع من الكراهية بل العدالة الرمزية والعقابية حيث ترسخ الأولى في مذهب القانون الدولي ، بينما يندر الاستناد إلي الثانية حيث تم تناول هذه المسألة من منظور الضحية التقليدية وهي الفرد ولم يتعامل أحد مع تلك الجرائم الدولية التي ترتقي إلى قتل قطاع كبير من مجتمع معين يمثل جزء من المجتمع الدولي .

وقد تم اختيار القضية الأرمنية لأنها تُعد الجريمة النموذج، والتي تم فيها أكثر من صورة من صور الجرائم ضد الإنسانية، وعلى إثر تلك القضية والجرائم التي ارتكبت بحق الأرمن ظهر مصطلح الجرائم ضد الإنسانية، فالقضية الأرمنية عرفتنا أول استخدام لمصطلح الجرائم ضد الإنسانية، واستيضاح وبحث الممارسات القانونية لهذه القضية في القانون الدولي الجنائي، ومدى المسئولية الدولية للدولة العثمانية وخليفتها تركيا حالياً عن ارتكاب تلك الجرائم بحق الأرمن، من خلال بحث صور الجرائم ضد الإنسانية المرتكبة بحق الأرمن ثم أدلة ارتكاب تلك الجرائم من خلال الوضع القانوني للأرمن في المعاهدات الدولية وأخيراً المسئولية الدولية لتركيا عن ارتكاب تلك الجرائم بحق الأرمن وحق الأرمن في التعويض.

وتأسيسًا على ما سبق، يأتي موضوع دراستنا المسئولية الدولية عن الجرائم ضد الإنسانية بحق الأرمن، وتكتسب هذه الدراسة أهمية خاصة، من منطلق أن إقرار المسؤولية الدولية عن ارتكاب الجرائم الدوليَّة هو أمر وثيق الصلة باستقرار السلم والأمن الدوليين فمعاقبة مرتكب الجريمة بغض النظر عن الزمان والمكان تعد من أسس المسئولية الدولية الجنائية ، حيث يتميز محل الحماية في الجرائم ضد الإنسانية عن غيرها من جرائم الحرب وضد السلم انها تستهدف حماية ابرياء الحياة الإنسانية من بني الإنسان دون تفرقة بين دين أو لون أو عرق أو جنس.

وقد توصلت الرسالة لعدة نتائج وتوصيات أهمها-:

أولا النتائج:

-تعتبر الجرائم ضد الإنسانية من ترحيل قسري ومذابح وقتل عمد التي ارتكبت بحق الأرمن لطخة عار في جبين الإنسانية جمعاء والضمير العالمي.

-كان الأرمن تحت حماية صريحة للقانون الدولي وتحت سيطرة الدول العظمى وفقاً لمعاهدات سان ستيفانو وبرلين ، مما يعطي لم حماية قانونية سابقة على الجرائم المرتكبة بحقهم.

-حظيت الجرائم ضد الإنسانية بحق الأرمن باهتمام دولي قاطع النظير وذلك سواء بتأكيد الواقعة او التوصيف القانوني كونها جريمة دولية بموجب القانون الدولي.

-وصفت الجرائم ضد الأرمن بأنها جرائم ضد الإنسانية تجد أساسها القانوني في اتفاقية لاهاي ١٩٠٧ وأخذ القضاء التركي التعامل مع هذه الحقيقة خلال ١٩١٥-١٩٢٠.

-الجرائم المرتكبة بحق الأرمن لا تسقط بالتقادم.

-حدوث شبه اجماع دولي على ارتكاب الدولة العثمانية

-الجرائم دولية بحق الأرمن ومن ثم ثبوت مسئولية تركيا بصفتها الوارثة للحكم.

-ساهم مبدأ مارتينز في تعزيز العدالة الجنائية الدولية وترسيخ مبادئها ، حيث ساهم في سد الثغرات القانونية داخل القانون الدولي الجنائي.

-هناك أفعال وصفت انها جرائم ضد إنسانية تمتد لفترات زمنية قديمة ، إلا ان الجرائم ضد الإنسانية لم يتناولها القانون الدولي بشكل صريح إلا بعد الحرب العالمية الثانية.

-يقل الاستعانة بمبدأ مارتينز كلما تكاملت منظومة القانون الدولي الجنائي.

ثانيا التوصيات:

- ضرورة اعتراف تركيا بمسؤوليتها عن الجرائم ضد الإنسانية بحق الأرمن ، فضلاً عن تعويض الشعب الأرمني تعويضاً مناسباً.
- على الشعب الأرمني ألا يتهاون عن حقه وتحريك الدعاوي ضد تركيا في حالة عدم استجابتها لإقرار المسئولية.
- التكييف القانوني السليم والوصف القانوني لواقعة الأرمن استناداً لمبدأ مارتينز هي الجرائم ضد الإنسانية كون الإبادة صورة من صور الجرائم ضد الإنسانية.
- الرجوع لمبدأ مارتينز عند وجود ثغرات تنال من المنظومة القانونية للعدالة الجنائية الدولية.
- التمييز عند بحث القضية الأرمنية بين وصفها القانوني كجريمة دولية لمعاقبة ومساءلة مرتكبيها ، وبين المسئولية الدولية عن تلك الواقعة وهو محل بحثنا وذلك لتعويض المتضررين من تلك الجرائم تجاه الدولة العثمانية سابقاً وخليفتها تركيا حالياً فالمسئولية الدولية تنشأ من انتهاك أحكام القانون الدولي باختلاف مصادره.
- صياغة مبادئ تنسجم مع طبيعة القانون الدولي الجنائي وجسامة الجريمة الدولية ووقائعها حتى لا يفلت أحد من العقاب أو المسائلة وذلك من خلال هيئة الأمم المتحدة وجامعة الدول العربية علي المستوي الإقليمي.

القهوة والمتصوفين .. صراع التحريم والاعتياد



بقلم: هدير مسعد

شراب أهل الله فيها الشفاء لطالب الحكمة بين العباد

القهوة ذلك المشروب الذي ارتبط بالعقل والخيال في آن؛ فالطاقة التي تبعثها في الروح والوعي لمجرد بضع رشفات كفيلة بالقول أن هذا المشروب مرتبط مباشرة من عوالم سحرية. ففي البدء كانت القهوة نشوة روحية في ذاتها. حقيقة، إن القهوة وتقاليد شربها، تمثل اختراع انساني يلبي الحاجه للونس والألفة، أو في أحيان أخرى، يمثل انقطاع عن العالم والائتناس بالذات الإلهية. أو هي وسيلة مساعدة للهروب من العالم لرب العالم. إنها بضع رشفات تعين على الخلاص. ومن بين كلّ عشّاق القهوة، كان للصوفيين غرامهم المختلف عن غيرهم، وحبّهمٌ لذلك المشروب يصل إلى درجة الهيام، كونهم يعتمدون على روايات ثلاث في نشأتها، جميعها تؤكد أن مكتشفها كان أحد شيوخ الطريقة الشاذلية، وهم: محمد بن سعيد الذبحاني، وعلي بن عمر الشاذلي، وأبو بكر بن عبد الله الشاذلي المعروف بالعيدروس أو العيدروسي.

ويستدلّ محمد الأرناؤوط في كتابه (من التاريخ الثقافي للقهوة والمقاهي) على عمق الصلة بين الصوفية والقهوة، بأن الجزائريين يطلقون على القهوة اسم "شاذلية" نسبة إلى الشاذلي. وفي دمشق مطلع القرن العشرين، كان صاحب البيت في أحد الضواحي إذا أخذ إبريق القهوة من على النّار يسكب الفنجان الأول على الأرض، "لأنه حصّة الشاذلي"، بحسب رواية الأرناؤوط.

واستدلّ الأرناؤوط على هيام أبناء الطريقة الشاذلية بالقهوة، بما كتبه الشاعر السعودي محمد الشبيتي، في مطلع قصيدته "تغريبة القوافل والمطر:"

"وزِدنا من الشاذلية حتى تفيء السحابةُ
واسكبْ على قلل القوم قهوتَك المرّة المستطابة."

وفي كتابه (سفر القهوة) الذي صدر للمرة الأولى في أبريل ٢٠٢٢، كتب الرحالة الكويتي عبد الكريم الشطي -كما يُحب أن يعرّف عن نفسه- أن أول استخدامٍ تاريخي للفظ "القهوة" بدأ في العام ١٤٠٠. وقد كانت الكلمة تُطلق على المشروبات الساخنة بشكلٍ عام. قبل ذلك التاريخ، حيث لم تكن الناس تتناول المشروبات الساخنة إلا للعلاج ومع الدواء فقط.

وبعد عام ١٤٠٠ انتقلت هذه العادة إلى العالم العربي،

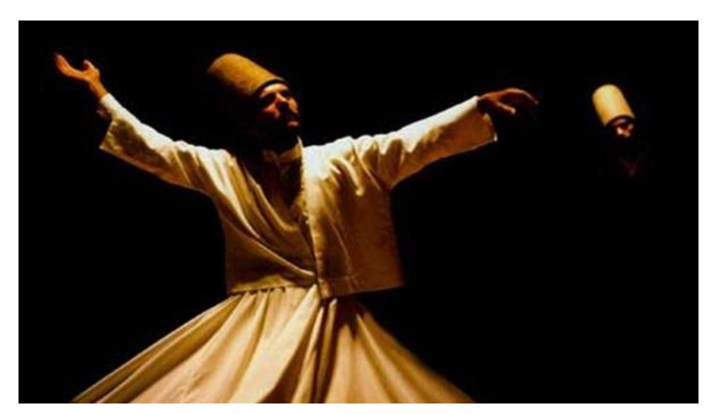
وتحديداً إلى بلاد الشام واليمن الذين صاروا يطلقون على المشروبات الساخنة اسم "القهوة"، حتى أن هناك بعض المراجع التي تُشير إلى قهوة القات (نبتة القات)، إذ كانوا يغلون أوراق النبتة ويشربونها.

وهناك رأي آخر يقول انه أطلق على القهوة هذا الاسم، نسبة إلى أن الناس ظنوا أنها من المسكرات، فالقهوة لغويًا ترادف معني الخمر.

اما في مصر فقد عرفت القهوة في القرن السادس عشر الميلادي، حسب ما ذكره جمال الغيطاني في كتابه القاهرة في ألف عام، وكان أول من اهتدى إليها هو أبو بكر بن عبدالله المعروف بالعيدروس، عندما وجد في سياحته شجر البن مهملاً متروكاً بالرغم من كثرته، فوجد فيه تجفيفاً للدماغ واجتلاباً للسهر، وتنشيطا للعبادة، فاتخذه طعاما، وشراباً وأرشد أتباعه إليه.

القهوة .. شراب أهل الله:

استخدمت الجماعات الصوفية في اليمن القهوة مُنبِّهاً يساعد المريدين على السهر في حلقات الذكر التي كانت تستمر طوال الليل تقريباً، حتى أصبحت جزءاً من طقوس التعبد الصوفي. فقد رأى المتصوفة في القهوة بديلاً حلالاً للخمر، وأصبغوا عليها كل الدلالات التي سبق أن مُنِحَت للخمر، فتغنّوا بها شعراً ونثراً، وارتقوا بها إلى مقام الرمز. والحقيقة أن لفقهاء القرن التاسع وأوائل القرن العاشر الفضل الأكبر في البحث عن تاريخ القهوة. فقد أسهب الكثيرون منهم ضمن مجموعة فتاوى، أو رسائل، في مدح هذا المشروب، جُمعت كلها في كتاب "عمدة الصفوة في حل القهوة" للشيخ العراقي عبد القادر بن محمد الجزيري. حيث قال يرتبط الشرب الجماعي للقهوة بتاريخ "الطريقة الشاذلية" التي أسّسها الشيخ أبو



الشيخ أبو الحسن الشاذلي (١١٩٦ – ١٢٥٨).

ومن المتعارف عليه في الأوساط الصوفية أن الشاذلي هو من أدخل احتساء القهوة في طقوس العبادة آنذاك.

يُقال إن هذا المشروب كان يُعينه على السهر وينشّطه للصلاة وتلاوة القرآن والأوراد الخاصة بطريقته.

وهناك نصّ يُنسب لأبي الحسن الشاذلي، يروي فيه كيف دلّ مريده ووريثه في اليمن، علي بن عمر القرشي الشاذلي، خلال لحظات سكرات الموت، على المكان الذي وجد فيه القهوة وحثّه على لزوم شربها أو لوكها (مضغها).

ويقول الشاذلي: "عند موته أعطى أبو الحسن لمريده كويرة من الخشب وأمره أن يسافر ولا يتوقّف إلّا في الموضع الذي لا تتحرّك فيه الكويرة (والكويرة هي خلية نحل داخل علبة خشبية)، سافر المريد حتى بلغ مدينة مخا، الميناء اليمني، وبرح بها".

جدير بالذكر أنه يُنسب للشاذلي أنه أول من روّج لمشروب القهوة، وكانت البداية من مدينة المخا، الذي يُعتبر الشاذلي مؤسّسها الروحي. حينها، كانت المخا مدينةً مهملة، لكن علي بن عمر الشاذلي انتقل للعيش فيها وطلب من الناس زراعة البن. غير أن سلطان المدينة أمر بنفيه إلى الجبال، حيث عاش مع ثلّةٍ من أصحابه على ثمر شجرة القهوة وتحضير المشروب بحبّتها، كما ورد

عـن الشـيخ علـي بـن عمـر الشـاذلي، أنـه قـال: إن شـرب القهـوة كشـرب مـاء زمـزم، حيـث إن شـربها يؤدي لنفس المتعة التي تحدث عن شرب زمزم.

وحـين بلـغ النـاسَ خـبر قـدرة المشـروب علـى مـداواة بعـض الأمـراض، توافـدوا عليـه. حينهـا عفـا السـلطان عـن علـي بـن عمـر، الـذي نـزل مـن جديـد إلى مدينـة مخـا بالقهـوة، الـتي كانـت سـبب شـهرة المنطقـة إلى يومنا هذا.

ارتبطـت القهـوة إذاً بالثقافـة الصـوفية وصـارت مرادفـاً لهـا، وكانـت جـزءاً مـن جلسـات الـذكر. وبالصـدفةِ والتصـادف كانـت طقـوس شـرب القهـوة تشـبه إلى حـدٍّ كبـير طقـوس شـرب الخمـر، لأنهـا كانـت تشـربُ جماعيـاً. وهـو مـا تسـبّب أحيـاناً في تحريمهـا لـدى بعـض الفقهاء.

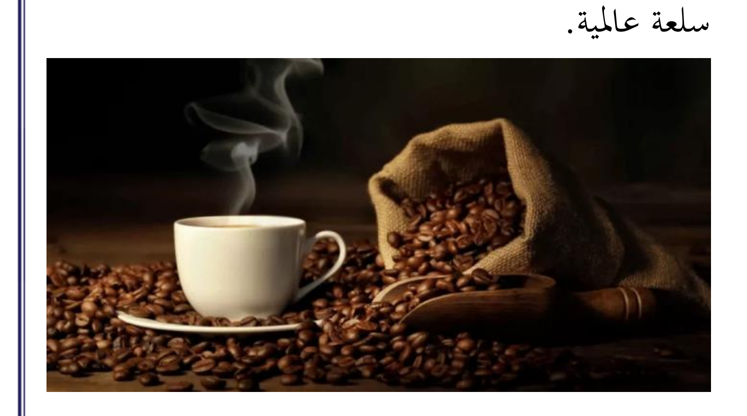
إذ كـان يوضـع قِـدرٌ كبـير مـن القهـوة في منتصـف الجلسـة، بداخلـه مِغرَافَـةٌ وتحتـه النـار، وتُشـرب مُيَامَنَـةً (مـن اليمـين). يغـرف الأول ويشـرب، ثم يعطـي الـدور لمـن يجلـس إلى يمينـه، فيغـرف هـو الآخـر ويشـرب قبـل أن يأتي دور من يجلس إلى يمينه، وهكذا دواليك.

بين صراع التحريم والاعتياد:

أصـبحت القهـوة مشـروبًا شـهيرًا وصـارت هنـاك أمـاكن خاصـة لتقـديمها، وصـارت تقـدم أيضًـا في الملاهـي الراقصـة، وفي جلسـات الغنـاء والسـمر، إلى أن رأى المتعصـبون أنهـا سـبب في زيارة النـاس لهـذه الأمـاكن، فصـاروا ينـادون بتحريمهـا، وكـان خـاير بـك، مـدير الشـرطة وقتهـا في الجزيـرة العربيـة، في عهـد قنصوه الغـوري، قـد أصـدر مرسـومًا بعـد طلـب هـؤلاء المتعصـبين منـه، بتحـريم شـرب القهـوة، واعتمـد علـى أراء بعض الفقهاء الذين جمعهم، وشهادات من أدمنوها بأنها مسكرة، وتسبب الإعياء.

وفي القاهرة، أصدر قنصوة الغوري مرسومًا بمنعها فقط في المجالس التي يُعصى بها الله، لكن لم يحرمها على الإطلاق، فقط قيد أماكن شربها، وفي عام ١٥٤٤ أصدر السلطان العثماني بيانًا، منع فيه شرب القهوة أثناء الحج، وأيضًا العالم الأزهري الكبير أحمد عبد الخالق السنباطي، حرم شربها عام ١٥٣٢، وهاجم شارب القهوة على منبر الأزهر الشريف، وبسبب خطبة قامت الناس على أماكن تقديم القهوة وحطموها.

وبعـد أن أبيحـت القهـوة في السـنين التاليـة، عـادت السلطات إلى تحريمهـا، في عهـد السلطان العثماني مراد الثالـث، والسـلطان مـراد الرابـع، الـذي أمـر بتحطـيم المقـاهي، وسـجن مـن يشـربها، وظلـت هكـذا إلى أن عرفتهـا أوروبا، وصـارت القهـوة في القـرن السـابع عشـر سلعة عالمية.



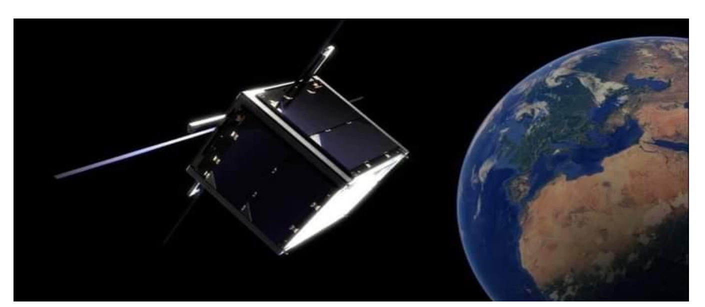
أخبار ومتابعات

بقلم: رباب محمد سليمان

بروتوكول علاقات دبلوماسية بين جمهورية أرمينيا والمملكة العربية السعودية

في ٢٥ نوفمبر، تم التوقيع على بروتوكول إقامة العلاقات الدبلوماسية بين جمهورية أرمينيا والمملكة العربية السعودية، ووقع البروتوكول في أبوظبي سفير جمهورية أرمينيا لدى الدولة كارين جريجوريان وسفير المملكة العربية السعودية لدى الدولة سلطان بن عبدالله العنقري.

إطلاق قمر صناعي أرمني



في الأول من ديسمبر، تم إطلاق القمر الصناعي الأرمني Hayasat-١ وسيتم إرساله إلى مداره بواسطة صاروخ Falcon-٩ التابع لشركة SpaceX في ١ ديسمبر الساعة ٢٢:١٨ بتوقيت يريفان ، وتم إنشاء القمر الصناعي "Hayasat-١" من قبل مختبر "بازومك" لأبحاث الفضاء ومركز الإبداع العلمي والتعليم.

لقاء السيسي و خاتشاتوريان

التقى الرئيس عبد الفتاح السيسي ، مع الرئيس الأرميني "فاهاجن خاتشاتوريان"، ف ٢ ديسمبر ٢٠٢٣ على هامش انعقاد الدورة الـ٢٨ لمؤتمر أطراف اتفاقية

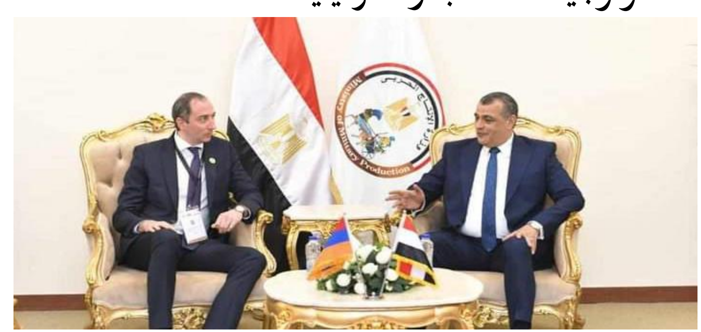


الأمم المتحدة الإطارية لتغير المناخ" في دبي، وتم التوافق بشأن ضرورة تعزيز الجهود القائمة لدفع مسيرة التعاون المشترك بين البلدين، خاصةً على الصعيد السياحي والثقافي والتجاري والاقتصادي والأمني، إلى جانب التباحث بشأن أبرز تطورات القضايا الإقليمية ذات الاهتمام المتبادل في منطقتي الشرق الأوسط وجنوب القوقاز.

سفيرة مصر بأرمينيا: تصويت الجالية في الانتخابات عكس وعيًا بأهمية المشاركة الإيجابية لصالح الوطن

أكدت السفيرة سيريناد سليمان جميل، سفيرة مصر لدى جمهورية أرمينيا في ٣ ديسمبر ٢٠٢٣، اهتمام أبناء الجالية المصرية بأرمينيا بالإدلاء بأصواتهم في الانتخابات الرئاسية لعام ٢٠٢٤ وقدومهم من كل أنحاء البلاد للتصويت بمقر البعثة الدبلوماسية بالعاصمة يريفان، ما عكس حبهم الشديد لوطنهم ووعيهم بأهمية المشاركة الإيجابية وأداء واجبهم تجاه مصر في هذا الاستحقاق الدستوري المهم.

وزير الإنتاج الحربي المصري يلتقي وزير صناعة التكنولوجيا الفائقة بدولة أرمينيا



استقبل المهندس محمد صلاح الدين مصطفى وزير الدولة للإنتاج الحربي، روبيرت خاتشاتوريان وزير صناعة التكنولوجيا الفائقة بدولة أرمينيا في ٥ ديسمبر ٢٠٢٣، ضمن فاعليات معرض مصر الدولي للصناعات الدفاعية "EDEX٢٠٢٣". وأكد الوزير، عمق العلاقات بين الجانبين والتطور الملحوظ التي شهدته العلاقات على مستوى الأصعدة، بدعم من القيادة السياسية بالبلدين والذي اتضح جليا من خلال زيارة الرئيس عبد الفتاح السيسي لدولة أرمينيا في يناير ٢٠٢٣، ومشاركة فاهاچن خاتشاتوريان رئيس جمهورية أرمينيا في القمة العالمية للمناخ COP٢٧ التي عُقدت في شرم الشيخ بشهر نوفمبر ٢٠٢٢. وعبر روبيرت خاتشاتريان وزير صناعة التكنولوجيا الفائقة بدولة أرمينيا، عن سعادته بعقد هذا اللقاء، مضيفا أن دولة أرمينيا تشارك بقوة فى معرض مصر للصناعات الدفاعية والعسكرية" EDEX ٢٠٢٣"، وذلك من خلال ١٣ شركة أرمينية تعمل في مختلف مجالات الصناعات الدفاعية.

هجوم على الحي الأرمني في القدس

في ٢٨ ديسمبر، قام أكثر من ٣٠ رجلاً مسلحاً ملثماً (متطرفين يهود) بغزو أراضي "حديقة البقر" في الحي الأرمني بالقدس وهاجموا بوحشية الأساقفة والكهنة والشمامسة وممثلين آخرين عن الطائفة الأرمنية. وأُصيب الكهنة وطلاب الأكاديمية اللاهوتية الأرمنية والأرمن المحليون بجروح خطيرة.



محافظ القاهرة يشهد احتفال الأرمن الأرثوذكس

شهد اللواء خالد عبدالعال محافظ القاهرة (نائبًا عن د. مصطفى مدبولى رئيس مجلس الوزراء) احتفال الأرمن الأرثوذكس بعيد ميلاد السيد المسيح برئاسة الأسقف أشود مناتسكانيان مطران الأرمن الأرثوذكس بمصر، وذلك بكنيسة الأرمن الأرثوذكس بشارع رمسيس في ٦ يناير ٢٠٢٤ .

مباحثات إماراتية أرمينية

زار معالي الدكتور علي راشد النعيمي، رئيس لجنة شؤون الدفاع و الداخلية و الخارجية في المجلس الوطني الاتحادي بدولة الإمارات مع وفد رفيع المستوي أرمينيا ، يومي ١٥ و ١٦ يناير، وعقد جلسة مباحثات مع البرلمان الأرمني، ولقاء عدد من كبار المسؤولين، لبحث سبل تعزيز علاقات التعاون في جميع المجالات، لا سيما البرلمانية، بما يحقق رؤية قيادتي البلدين، وتطلعات الشعبين الصديقين.



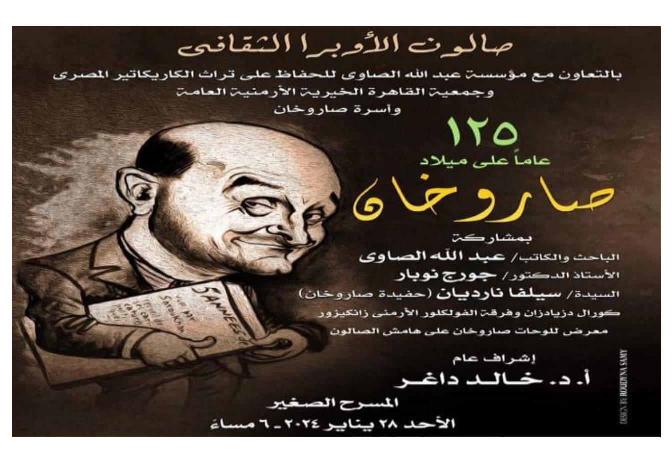
معرض جديد للفنان العالمي المصري الأرمني أرمين أجوب

في الخامس والعشرين من يناير أُقيم بالولايات المتحدة الأمريكية معرض بعنوان " تغنية" للفنان العالمي، المصري الأرمني أرمين أجوب ، ويمثل هذا المعرض أول ظهور لـ آجوب في هيوستن، حيث يعمل المعرض الآن كممثل حصري لأعماله في الولايات المتحدة، و جدير بالذكر أن أرمين أجوب هو فنان معاصر حائز على جوائز ومعروف لمنحوتاته ولوحاته المشحونة روحيًا، المستمدة من استكشافه للروحانيات القديمة.

عن تهديد التغيرات المناخية علي الطبيعة :مشروع ثقافي مشترك بين مصر وأرمينيا للأطفال



صدر حديثًا عن مؤسسة صهيل الأدبية قصة أطفال تحت عنوان " وادي الزهور الزرقاء " للكاتب محمد مندور، وتم طرحها في معرض القاهرة الدولي للكتاب ٢٠٢٤ بدورته الـ ٥٥.كانت القصة ضمن مشروع ثقافي مشترك للأطفال شاركت فيه فنانة رسوم الأطفال الأرمنية الشهيرة نايرا أهارونيان، مع الكاتب المصري محمد مندور ، كانت أولى إصداراتهما تحت عنوان " لعبة هايك" وحملت بين طياتها ملامح عن الثقافة الأرمينية بهدف دعم التواصل الحضاري بين الأطفال العرب والأرمن. وتم طباعة السلسلة برعاية بطريكية الأرمن الأرثوذكس بمصر. تدور أحداث قصة "وادي الزهور الزرقاء" حول بطل السلسلة القصصية "هايك" الذي يقوم بمغامرة جديدة إلى أرمينيا لإنقاذ وادي الزهور من التدمير وإعادة زراعته مرة أخرى.



الأوبرا وذاكرة الكاريكاتير يحتفلان بالذكرى ١٢٥ على ميلاد صاروخان

نظمت إدارة النشاط الثقافي بدار الأوبرا بإشراف عام الأستاذ الدكتور: خالد داغر، بالتعاون مع مؤسسة عبدالله الصاوي للحفاظ على تراث الكاريكاتير المصري، وجمعية القاهرة الخيرية الأرمنية العامة، وأسرة رسام الكاريكاتير المصري الراحل ذي الأصول الأرمنية: ألكسندر صاروخان (١٨٩٨-١٩٧٧)؛ في الأحد ٢٨ يناير، بالمسرح الصغير بالأوبرا، احتفالية: ١٢٥ عامًا على ميلاد صاروخان، وتضمنت الاحتفالية افتتاح معرض: بورتريهات الإسكندرية، الذي ينظمه مشروع ذاكرة الكاريكاتير التابع لمؤسسة عبدالله الصاوي للحفاظ على تراث الكاريكاتير المصري، وضم المعرض مستنسخات عالية الجودة لأكثر من مئة بورتريه كاريكاتيري من أول معارض صاروخان الكاريكاتيرية بالإسكندرية عام ١٩٢٧، لمجموعة من الشخصيات التي عاشت في الإسكندرية في منتصف العقد الثاني من القرن العشرين.

و تضمن الحفل فقرة غنائية لكورال دزيادزان التابع لجمعية القاهرة الخيرية الأرمنية العامة، وعرض فيلم تسجيلي مدته نصف ساعة من تأليف وإخراج المخرج: معتز راغب، سيرة ومسيرة صاروخان من الميلاد حتى الرحيل، تلتها فقرة استعراضية تقدمها فرقة الفولكلور الأرمني زانكيزور التابعة لنادي چوچانيان.

واختتم الحفل بندوة عن صاروخان ومناقشة لكتاب (بورتريهات الإسكندرية، للباحث: عبدالله الصاوي)، الصادر بدعم من جمعية القاهرة الخيرية الأرمنية العامة، احتفالًا بالذكري ١٢٥ على ميلاد صاروخان ،وشارك في الندوة الأستاذ الدكتور: چورج نوبار سيمونيان، رئيس مجلس إدارة جمعية القاهرة الخيرية الأرمنية العامة، والسيدة: سيلڤا چرابت نارديان، حفيدة صاروخان .



صُورَةُ الأَرمَن بَينَ التَّارِيخِ والسَّردِ الرِّوَائِيِّ - الرِّوَايَةُ المِصرِيَّةُ بِالأَلفِيَّةِ الجَدِيدَةِ نَمُوذَجًا "دراسة تحليلية"

بقلم: د. ملاك نجدى أبوضابة

نُوقشت رسالة دكتوراه فى رحاب جامعة دمنهور– كلية الآداب يوم الأربعاء الموافق ١٠/١/٢٠٢٤، تحت عنوان " صُورَةُ الأَرمَن بَينَ التَّارِيخِ والسَّردِ الرِّوَائِيِّ – الرِّوَايَةُ المِصرِيَّةُ بِالأَلفِيَّةِ الجَدِيدَةِ نَمُوذَجًا " دراسة تحليلية"" للباحثة / عبير حسني عبد الموجود الطحان، وتحت إشراف الأستاذ الدكتور أ. د/ محمد محمود أبو علي، أستاذ النقد والبلاغة كلية الآداب جامعة دمنهور، و أ. د/ محمد عبد الحميد خليفة أستاذ الأدب والنقد ورئيس قسم اللغة العربية كلية التربية – جامعة دمنهور، و أ . د/ محمد رفعت الإمام أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر وعميد كلية الآداب سابقًا جامعة دمنهور، وناقش الرسالة كل من : الأستاذ الدكتور عيد علي مهدى بلبع، أستاذ النقد الأدبي والبلاغة كلية الآداب – جامعة المنوفية، والأستاذ الدكتور عمر شحاتة محمد أستاذ الادب والنقد كلية الآداب جامعة دمنهور، وقد حصلت الباحثة على درجة الدكتوراه بتقدير مرتبة الشرف الأولى والتبادل بين الجامعات، وإليكم عرض الرسالة.

إن الرواية جنس أدبي يتسم بالمرونة، يستوعب الواقع ويعبر عن المجتمع بما يحمله من قضايا، وشخصيات، وأحداث، وظواهر، وأماكن، وأزمنة، ويحفظ تاريخ الأمم. يستطيع الروائي تصوير الواقع كما يراه، حالة قبوله لهذا



أو رفضه من خلال الرواية، التي هي فن التعبير عن الرأي صريحًا، والستار الذي يحتمي خلفه الرافضون. تستوعب الرواية الواقع والخيال معًا، من خلالها يتعايش القارئ مع الأحداث، والشخصيات، والأماكن، والأزمنة، فهي السجل الحافظ للتاريخ، والمعلم للأجيال قديمًا وحديثًا ومستقبلًا. وإذا نظرنا إلى الرواية المصرية، وتحديدًا الرواية المصرية، وجدناها تقوم على تقنيات وفنيات تؤهلها للإقناع والإمتاع في آنٍ واحدٍ بما تحمله من جو دراميّ وعناصر تشويق، إلى جانب البساطة في التعبير التي يتميز بها الروائي المصري.

الكثير من الروايات حفظت تاريخًا، وسجلت أحداثًا مهمةً، ومن الموضوعات التي تطرق إليها الروائيون المصريون وجود بعض العناصر الأجنبية داخل الدولة، وظاهرة مثل ظاهرة وجود عناصر دخيلة على الوطن كان لابد من النظر إليها بعين الاهتمام والفحص والتدقيق، وتستحق الدراسة تحسبًا لشخصية هذا العنصر وإمكانية

تأثيره على الوطن بالنفع أو بالضرر؛ لذلك وجب معرفة ودراسة الأسباب والدوافع وراء وجود هذا العنصر داخل الدولة، والدراية بما طرأ على المجتمع بعد التعايش من الناحية السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية.

الأرمن من الأقليات التي لجأت إلى مصر واندمجت فيها ، فهم شعب له وجوده وكيانه، تعرضوا قديمًا للإبادة والترحيل من بلادهم على يد العثمانيين، ونزح الناجون منهم إلى البلاد المختلفة، وكان لمصر دور عظيم في استيعاب الناجين من الإبادة الأرمنية عصر الدولة العثمانية. لذلك وجب التطرق إلى دراسة هذا الشعب، وكيف تأثر به الأدب المصري من خلال فن الرواية، فقد كانت الرواية المصرية بمثابة المرآة التي عكست حياته وأزمته وأنشطته، كل هذا، مثل مرأة عاكسة لسمات الشخصية الأرمنية، وصورت الرواية حياة الأرمن وتاريخهم قديمًا وحديثًا، وأزمتهم، كما تناولت الروايات تتابع الأجيال، وشملت المرأة، والرجل، والطفل، والشيخ وعرضت حياتهم على كافة المستويات الاجتماعية والاقتصادية، والسياسية، وقدراتهم الشخصية.

ما سبق ارتكز على دراسة بعض الروايات المصرية التي تناولت القضية الأرمنية.

هذه الروايات تبعًا للتسلسل الزمني:

١. رواية صيد العصاري: للكاتب المصري محمد جبريل، صدرت عن دار البستاني للنشر والتوزيع ٢٠٠٤م.

٢. رواية ميمي زهرة أرمينية البيضاء: للكاتب المصري عبد العزيز السماحي، صدرت الرواية عن دار أوراق للنشر والتوزيع عام ٢٠١٣م

٣. رواية بالأمس كنت ميتًا: للكاتبة المصرية رضوى الأسود، صدرت طبعتها الأولى عام ٢٠٢٠م، عن الدار المصرية اللبنانية.

٤. رواية العشاء الأخير: للكاتب ميسرة الدندراوي، صدرت هذه الرواية عام ٢٠٢٠م عن دار الرواق.

٥. رواية الباشا للكاتب سمير زكي، صدرت طبعتها الأولى عام ٢٠٢٠م عن جمعية القاهرة الخيرية الأرمنية، تناولت سيرة الأرمني المصري (نوبار باشا)، وبث الكاتب من خلال السيرة المعلومات عن الأرمن وخصالهم، وظروف حياتهم، وما تعرضوا له من مذابح.

٦. رواية موت منظم: للكاتب أحمد مجدي همام، الصحفي المصري، وصدرت هذه الرواية عن دار هاشيت أنطوان، مؤسسة نوفل في العاصمة اللبنانية ببيروت، ٢٠٢١م.

تم اختيار تلك الروايات تحديدًا نماذج للدراسة؛ لأنها كُتبت في الألفية الجديدة، ومثلت المسألة الأرمنية، وتضمنت أبعاد القضية كاملةً وأحاطت بتفاصيلها، وبحياة الشعب الأرمنيّ قبل الأزمة، وفي فترة حدوث المذابح، وفي الفترة الحالية، أي الجيل الجديد منهم؛ لذلك آثرت التوقف أمام تلك الروايات تحديدًا؛ للكشف عن حياة الشعب الأرمني.

اتضح ذلك من خلال التحليل العلمي للروايات المصرية، من خلال تلك الصورة التي تكونت عن ذلك الشعب عرضت آراء الرواة المصريين حول المسألة الأرمنية، فقد عرضوا آراءهم من خلال الروايات، وطرحوا وجهة نظر كتاب الألفية الجديدة عن القضية الأرمنية، فلم ينظروا إلى تلك الفئة بعين الاتهام والإدانة،بل نظر الجميع لهم بعين الشفقة مع اطلاعهم على مؤلفات التاريخ التي أتت على أبعاد القضية، واتضح ذلك خلال الروايات.

لم تلقَ القضية الأرمنية اعتراضًا من قِبَل الكُتَّاب المصريين في الفترة التي تم تحديدها للدراسة، ذلك ما تبيَّن أثناء الشرح والتعليق على الروايات، كما تبين أنه بإمكان الأدب أن يفصل في قضايا الواقع، ويصدر الأحكام تبعًا للحقائق من خلال جمالياته، وكان فن الرواية خير سفير، وأقوى دليل على أهمية الأدب ودوره في حياة البشر.

وتكمن أهمية الدراسة فى :

١. إن أزمة الأرمن موضوع يمس الإنسانية بالدرجة الأولى، فاستلهمت الرواية المصرية الموضوع وجعلته موضوعًا لها، ذلك في الروايات محل الدرس؛ لذلك قررت أن أنظر إلى القضية بين التاريخ الصرف والرواية.

٢. خوض تجربة من هذا النوع من الدراسات؛ تمد الباحث بالمقومات التي تمكنه من تحليل العمل الروائي في ضوء النقد التاريخي.

٣. التوقف أمام رواياتٍ جديدةٍ وروائيين معاصرين لم يتطرق إليهم البحث من قبل.

٤. مواكبة الجديد في فن الرواية المصرية، حيث تناولت الدراسة نماذج من الرواية المصرية في الألفية الجديدة.

٥. الإحاطة بكيفية استيعاب الرواية للتاريخ وللأحداث السياسية.

كما طرحت الدراسة العديد من التساؤلات منها :

ماذا عن صورة الأرمن السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية؟

كيف كانت علاقة الأرمن بالعرب وبالمصريين على وجه الخصوص؟

كيف تجلت صورة الأرمن في الروايات محل الدراسة؟

كيف استطاع الروائيون إبراز أبعاد القضية الأرمنية، والشعب الأرمني بشكل عام من خلال الحدث الروائي؟

كيف أبرزت الرواية ومثلت الشخصيات الروائية كنماذج حقيقية للشعب الأرمني؟

ما دور المكان ودلالاته في تكوين صورة متكاملة عن الشعب الأرمني وقضيته؟

كيف عرضت الروايات محل الدراسة لصورة الأرمن؟

هل تتوافق صورة الأرمن في الروايات مع الأحداث التاريخية للأرمن؟

أما عن فصول الدراسة :

الفصل الأول:(الأحوال السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية للأرمن، دراسة تاريخية).

الفصل الثانى: (الحدث الروائي).

الفصل الثالث : (الشخصية).

الفصل الرابع: (الزمكانية) .

الفصل الخامس: (تقنيات السرد).

خاتمة

وجاءت أهم التوصيات :

لم يتسع المقام في هذه الدراسة لتناول كل ما كتب من أعمال روائية حول القضية الأرمنية، وتم تناول أكثر الأعمال الروائية إلمامًا بالقضية وقربًا من أحداثها؛ لذلك وجب الإشارة إلى بعض الدراسات التي يمكن أن تقام حول تلك القضية، ذلك على النحو الآتي :

تناول صورة القضية الأرمنية تطبيقًا على روايات الوطن العربي.

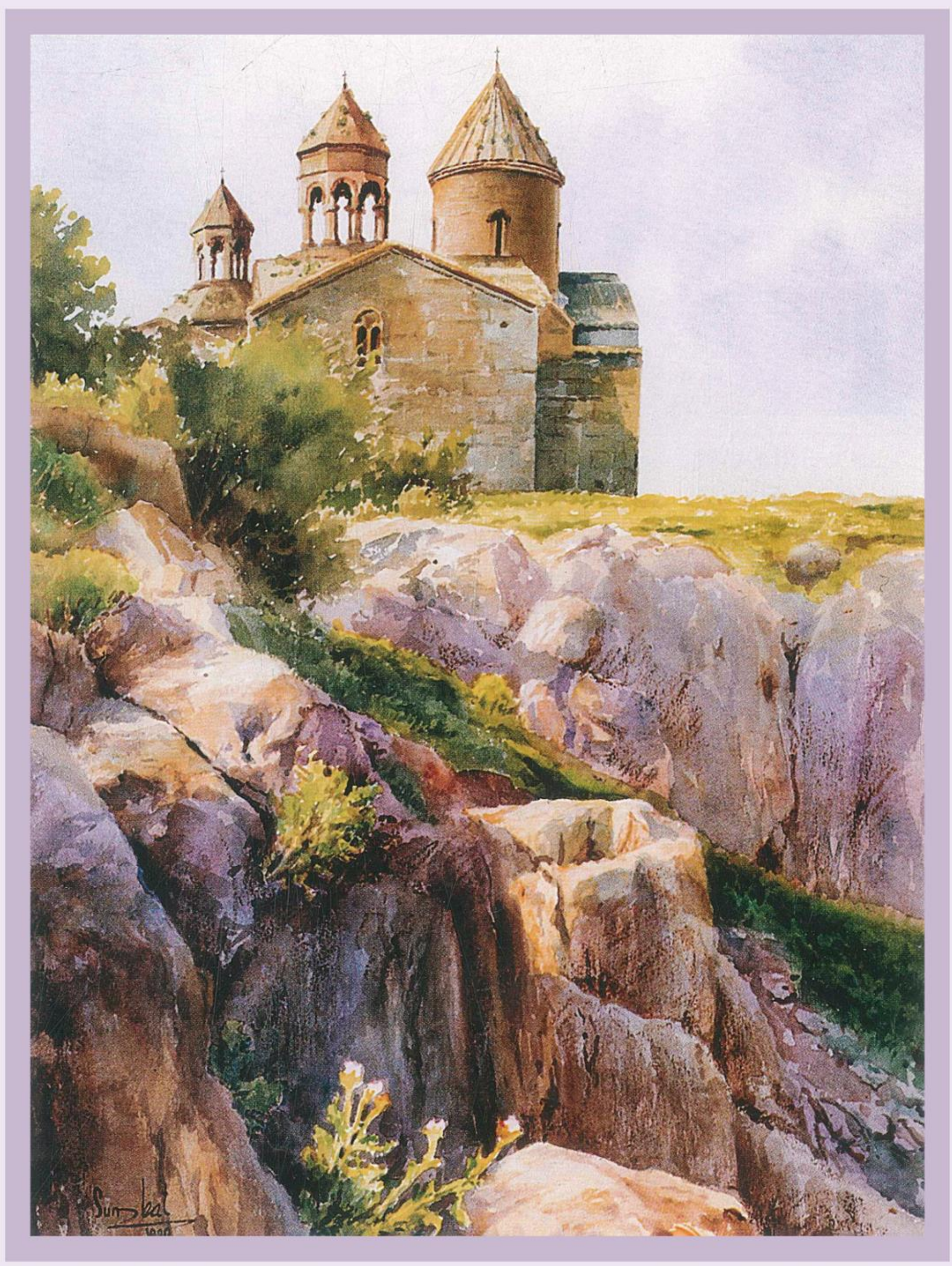
تناول الإبادة الأرمنية في بعض الروايات المصرية التي تناولت القضية الأرمنية، لكن لم يتسع المقام لدراستها، مثل رواية البنك العثماني للكاتب سمير زكي.

دراسة قدرة تقنيات الرواية على استيعاب التاريخ تطبيقًا على الروايات التي تناولت قضية الأرمن.

دراسة تبادلية العلاقة بين الأدب والتاريخ أو بين الرواية والتاريخ، تطبيقًا على الروايات محل الدرس.

دراسة مسألة التأثير والتأثر بين العلوم الإنسانية انطلاقًا من العلاقة الوطيدة بين الأدب والتاريخ، و تطبيقًا على تناول بعض الروايات للمسألة الأرمنية.

ՀԲԸՄ 2024



Սաղմոսավանք - Սումբատ Տէր-Կիւրեղեան

Saghmosavank - Sumbat Ter-Kyureghyan